TOURS DU MONDEEN QUATRE-VINGT JOU

رواية

الطواف

حول الارض في ثمانين يوماً

للمصنف الشهير والعالم النحرير جول فيرن الفرنساوي

عربت من الفرنساوية بقلم الفقير يوسف اصاف

وكيل البوسطة المصرية بالعطف

طبعت في مطبعة المحروسة بالاسكندرية في ٦ مايو (ايار) سنة ١٨٨٥

اصلاح خطاء

الصحيفة	العمود	السطر	خطاء	صواب
٠٣	٢	١٣	لايفارق	لايلازم
١٦	٢	٢١	يقد	يتقد
١٩	٢	٦٠	الخطوط	القطارات
٣٦	١	١٣	اليو	الى
٤٢	١	٦٠	كان	كانوا
٤٦	٢	١٠	المطر	الماطر
٤٨	١	١٦	الى وقع	الى ان وقع
٤٨	٢	٢٠	لا	له
٤٦	٢	٣٠	نقص	تنقص
٤٦	٢	١٤	الارتجاج	الارتجاج
٤٨	٢	٣٠	سائتنا	سابقًا
٤٨	٢	٢٣	لبث	لبثت
٥٣	١	٤٠	قنص	قنصت
٥٣	٢	٢٠	بحسب	بحسب
٥٤	٢	١٥	حراء	احراء
٥٦	٢	٦٠	والا نعام	والا نعام
٥٦	٢	١١	الصحنة	الصحية
٥٩	١	١٧	عدالما	عسالما
٥٩	١	١٩	انق	التى
٦٠	٢	١٩	ربيقو	ربيقيو
٦٣	١	١	وحرملكَ	وحزملكَ
٦٣	٢	١٨	وتيحًا	وشيحًا
٦٤	٢	١٠	٣٠	٣٠٠
٦٥	١	١٣	ومأمل	وسأمل
٧٠	٢	٢٢	السالة	الساعة
٧٠	٢	٢٣	محال	محال
٧٢	٢	١٥	اقفاء	اقتناء
٨١	٢	١٧	ماحرة	ساحرة
٨٣	١	٨	ايام	اميال
٠٨٣	٢	٢٠	مثلها	مثلها من
٠٨٤	٢	٥٠	النت	التمت
٠٨٧	١	١١	الفتة	السقة
٠٨٧	٢	٢	كان يتعقد	كانوا يتعقدون
٠٨٧	٢	٣٠	ويشدها	ويشدونها
٠٨٧	٢	٣	ويعرض	ويعرضون
٠٨٨	٢	١٩	للسمة	للسفينة
٠٩٥	١	١٩	امعات	يامعات
٠٩٦	٢	٥	الله	الاله
٠٩٩	٢	١٦	ويعقدون	ويتعمدون
١١١	٢	١٤	العدالات	الاعدة

تم

هذا اهم ما وقع في هذه الرواية من اغلاط الطبع اكتفي بالاشارة اليه واترك ما سواه لفطنة الناقد البصير

يوسف
اصاف

مقدمة المترجم

شغفت زمناً طويلاً بمطالعة الروايات الادبية ونحوها من المصنفات المثقفة للعقول المهذبة للاخلاق فلم يحلُ لذوقي منها الا ما جاد به واجاد يراع العالم الحاذق النحرير .
والمؤلف الشهير الموسيو جول فرن الفرنسوي فاخترت من جملتها هذه الرواية المفيدة واقدمت على ترجمتها وطبعها علماً بانها حريّة بان تتداولها ايادي المحسنين خليقة بمطالعة اهل العلم قمينة بان تترتب عليها الفوائد الجمة ولا تجعل سبيلاً لشكوى اهل الاطلاع من قلة الفائدة وامتناع العائدة . وقد عُنيت في الترجمة بتطبيقها على الاصل مع مراعاة اسلوب الانشاء العربي وايراد ما وصل اليه امكاني من المصطلحات المألوفة في لغة العرب مما يرادف مصطلحات الافرنج وذلك مخافة ان تمج اذواق الناطقين بالضاد فان كنت اخطأت المرمى ،
فالعفو لا تهمل

[illegible]

الفصل الاول
(كيف ان باسارتو تقيد بخدمة)
(المستر فيلاس فوج)

قال المؤلف لا نعرف للمستر فيلاس فوج تاريخ ولادةٍ ولا نعلم له حسباً ونسباً ولا مهنةً او صناعةً فهو ليس من ذوي التجارة او ارباب الفلاحة او اصحاب الزوارق او من ربانيّ السفن والبواخر ولم يرهُ احد من الناس في قاعة البورصة او في بنوكة المملكة او المدينة ولم يدع ذكره بين خدمة الدوائر او في مصاف المحامين امام المجالس ولم يذكر له اسم بين اعضاء مجلس السلاء او بين نصراء الاديان ولم ينتظم في سلك جمعية من الجمعيات العديدة المنشأة في لندره ومنها جمعية بريطانيا العظمى التهذيبية وجمعية لندره وجمعية الحِرَف والفصاحة الغربية والفقه والصنائع والعلوم المستظلة بظل جلالة الملكة وجمعية الموسيقى وجمعية اعدام الحشرات المضرة بني الانسان وجل ما علمناه من امره انهُ انكليزي النشأة حاصل على مكانة عليا بين رجال الهيأة الاجتماعية من قوم الانكليز محرز من الاداب والعلوم والمعارف والفنون ما رفع منزلته في عالم الانسان حتى طارت بذكره الركبان في كل نادٍ ومكان الاّ انهُ كان يبذل قصارى جهده في مواراة شهرته وكيف توارى نارٌ على علم او يستتر نور تحت حجج ظلام وكان كريم الخلق سليم النية حسن الطية حاد الذهن نزيهاً ابياً ثابت الجنان لا تأخذه الحدة عند الغضب ولا يتولاه العجب عند نيل الارب فكأنّي به يشبه بيرون في طباعه فاذا عاش مئات من السنين لا يعبث اليأس بلمته وفي عام ١٨٧٢ كان يسكن في شارع سافيل المودي الى حدائق بورلينجتون داراً رقم فوق بابها عدد (٧) وفيها قضى عام ١٨١٤ سريدان احد خطباء الانكليز المفلقين ورجالهم المحنكين

ولقد احصى المستر فيلاس فوج في عداد اعضاء الجمعية التهذيبية بلندره التي لم يكن يقبل فيها الاّ من كان من اشراف الناس واعيان البلاد بمقتضى توصية خصوصية من الخواجات بارين احوان اصحاب الغنى الوافر والذكر الطيب العاطر واصحاب البنك المشهور في مدينة

لندره وقد كان ذا علاقةٍ باعاظم التجرية
جعلت لهُ بين اهل الثروة مقامًا رفيعًا
وكان في معيشته لازمًا حد الاعتدال
وفي دنياه غنيًا ولا نعلم كيف حشد
الاموال ولكنه كان لا يبذل الدينار في
غير حين اللزوم والاضطرار ولا يبخل
ببذل الدرهم سخاء اعانةً للاعمال الخيرية
وكان قليل العلاقات والتداخل لا يتكلم
الاَّ عند الاقتضاء ولا يتحدث بما لا يجدي
نفعًا وكان ذا المامٍ تام وباعٍ طولى في
علم الجغرافية ومعرفة خصوصية باقصى
اماكن الارض وعندما كان يقع احيانًا
بين رفاقه اعضاء الجمعية حديث او
جدال في مواضيع جغرافية متعلقة بموت
السواح وتيههم في الفدافد والقفار كان
يصحح اراءهم ويصلح فاسدها ويقوم معوجها
ويفصل بينهم ذات البين بالحجج
القوية والبراهين الدامغة والادلة الساطعة
كانها صادرة عن رأي العين وذلك
بكلام وجيز وعبارات بليغة توهم السامع
انهُ جاب انحاء البسيطة واستقرى غورها
ونجدها وطوى سباسبها وبطاحها مع انهُ
لم يبارح من عدة سنوات مدينة لندره

ولم يكن بالطبع ميالاً الى الاغتراب ومعاناة
الاسفار ولم يكن يسلك غير الطريق المؤدية
من داره الى قاعة الكلوب حيثما كان
يقضي اكثر الاوقات في مطالعة صحف
الاخبار ولعب «الويست» وكان لهوًا يحلو
لهُ ويطيب لذوقه وفي غالب الاحيان
كان يربح شيئًا من النقود فيضيفه الى
مخصصات الصدقات لاصطناع المبرات
وما عرفنا لهُ امرأةً وبنين وهذا من
دأب الادباء ولا اقارب وانسباء وهذا
من خوارق الحالات وكان منفردًا
بسكناه مصطحبًا خادمًا وكان لا يفارق
منزله الاَّ حينًا يسيرًا من النهار وبيان
ذلك انهُ كان يقضي فيه عشر ساعات نائمًا
تارةً ومشتغلاً طورًا اما منزله فلم يكن فيه
شيءٌ من الاثاث الفاخر بداعية انهُ لم يتخذ
ليلج بابه ضيف او يدخله زائر وكان
يتناول الطعام في الظهر والمساء على مائدة
«الكلوب» في اوقاتٍ معينة وفي حجرة
منفردة وما من مرةٍ دعا احدًا غريبًا كان
او قريبًا لتناول الطعام او شرب كأس مدام
وكان اذا جلس على المائدة قدم لهُ خدمة
«الكلوب» فوطًا بديعة الصنع من

منسوجات ساكسونيا واتوه بالطعام في آنيةٍ صينية وسكبوا له الخمر الجيد من اباريق صينية في اقداح من البلور الشفّاف ممزوجاً بالثلج الامركاني فبعد ان ياكل مريئاً ويشرب هنيئاً ينهض ويخطر خطرات الغيد اما في قاعة الاستقبال واما في الايوان المربّع حيث تقوم من فوقه قبة مستديرة مصنوعة من زجاج ازرق يحملها عشرون عموداً رخامياً — وعلى هذا النمط من العزلة والتأنق كان سير معيشته الصافية وشأن حالته الراضية

وكان القائمون بخدمتهِ شديدي الارتياح الى قضائها بالنظر الى اخلاقه المروّضة وما الفهُ من مثل هذه العادات ولم يكن يطلب من خادمه سوى النهوض بواجبه في وقته المعين وفي احد الايام من شهر اوكطوبر اتاه خادمه المدعو جامس فورستر بماء لغسل لحيته في درجة ٨٤ من الحرارة بدلاً من ان تكون في درجة ٨٦ فسخط عليه وطرده من الخدمة

وبينما كان في عرشه تائهاً في اودية التأمل بعد طرده للخادم ورجلاه متحاذيتان ويداه مسترجيتان ورأسه مستلقٍ الى الوراء وعيناه شاخصتان الى عقرب الساعة الكبيرة البديعة الاختراع المتقنة الصنع الدالة على الساعات والايام والشهور والاعوام اذا بالباب يقرع ثم فتح ودخل الخادم المطرود مستصحباً شاباً بالغاً من العمر حد الثلاثين عاماً فخاطب المستر فوج بقوله :

هود حَلَّى يا مولاي

فاجابه لا بأس ثم التفت الى الخادم الجديد وقال له مستفهماً :

افرنسويٌ انت وما اسمك

فقال الخادم :

نعم انا فرنسوي يا مولاي وأُدعى «جان» واللقب «باسبارتو» وقد مارست المهن العديدة والحرف الكثيرة فكنت فيها من النابغين المفلحين . وكنت من منشدي الاغاني على قارعة الطرق فاطربت برخيم صوتي وشنفت الآذان بشجي انغامي وكنت سائساً في احد الاسطبلات فروضت الخيول بالاعتناء وسستها بحذقٍ وذكاء وكنت مشعوذاً فابدعت واغربت وخلبت الالباب بغرائب الالعاب . واصطنعت لي اجنحة فطرت بها في الفضاء مثل

ليوتار. ورقصت على الحبال مثل بلوندن، وكنت استاذاً لعب التمرين البدني (الجمناستيك) في فرنسا واخيراً كنت قائداً لفرقة المطافئ في الجيش الفرنسوي فكم اطفأت من حريق هائل وانقذت من ابنية فاخرة وقصور شاهقة وقد بارحت باريس منذ خمس سنوات فاتيت مدينة لوندره التماس الخدمة في بلاد بريطانيا العظمى لاني مللت بعد ذلك العناء الى التمتع بعيش هني في كنف كريم غني ولكن الطالع لا ازال الى الان خالياً من مثل هذه الخدمة وقد علمت ان مولاي يطلب خادماً اميناً معروفاً بمراعاة الدقة في اتمام اعماله لا يروم ابتعاداً بعد اقتراب ولا يجسم في اي الاحوال غارب اغتراب فهرولت اليك وها انا على قدم الاحترام بين يديك متوقعاً بلوغ امنيتي قبل ان تدركني منيتي

ــ اراك يا باسارتو موافقاً لمشربي ملائماً لمذهبي ولي علم تام بحالك وسير احوالك وقد اوصاني بك بعض الخلان فهل تعرف شروط خدمتي

ــ أجل يا مولاي

ــ كم الساعة الان

ــ ١١ والدقيقة ٣٠

ــ واخرج من جيبه ساعة ضخمة من الفضة

فقال المستر فوج

ان ساعتك توخر اربع دقائق فتأمل الفرق وتدبر وانت منذ اليوم مقيد في خدمتي ــ من الساعة الحادية عشرة والدقيقة ٢٩ من صباح الاربعاء الواقع في ٢ أكتوبر عام ١٨٧٢

وبعد ان اتم كلامهُ تناول بيده اليسرى قبعتهُ فوضعها على رأسه وخرج من غرفته بدون ان يفوه ببنت شفة ثم خرج الخادم السابق وراءهُ وبقي الخلف في المنزل

الفصل الثاني

كيف ان باسارتو تحقق بلوغ امانيه

كان الناس في لوندره يقصدون منزل مادام تيسو فرادى وازواجاً قصد التفرج على التماثيل المصنوعة من الشمع المحكمة الصنع الكثيرة الاتقان بحيث ان الناظر اليها يكاد لا يفرق بينها وبين

الادميين . وكان باسبارتو قد شاهدها فلما رأى مولاه تذكرها وقال في نفسه لعمري ان تلك التماثيل شديدة الشبه لمولاي فلا احاله الا منها ولا ارى الا انه تقمص منها ثوب التكوين ثم تأمله واحدق بصره فيه فراه رجلاً جاوز حد الاربعين من العمر تبدو على وجهه ملامح احراره للفضيلة التي يعرفها علماء الهيئة بفضيلة (السكينة في العمل) حسن الرواء ذا لحيةٍ شقراء وجبهةٍ بارزة خالية من التجعد مائلة الى الصفرة لونًا واسنان كالبرد وقوام رشيق وسنة معتدلة وطبع هادئ يدل على كونه انكليزي الدم محضاً كاساء جلدته القاطنين في الولايات المتحدة الذين رسمت هيئتهم بقلم انجليكا كوفمان المصورة الشهيرة . ورأى من ثمّ ان جميع تصرفاته دائرة على محور الحكمة والكمال وتبين من اعضاء جسده تناسقاً يماثل كرونومتر · لروا : في الدقة والتعادل فكان رشيق الحركة دقيق الخطى في التخطر والسير وبيانٍ آخر انه لم يكن يخطو خطوةً على غير لزوم او يسلك غير الطريق القريب او يضيع لحة بصر من غير فائدة او يبدي اشارةً في غير موقعها

اما جان باسبارتو فكان فرنسوي النزعة باريزي النشأة حميد الخصال حسن الصفات اديباً مهذباً سليم الذوق كريم الخلق صافي النية طاهر السريرة ذا رأسٍ مستدير يتمنى كل امرء ان يراه بين كتفي حبيبه وشعورٍ سوداء مسترسلة الى الوراء يكفي لاصلاحها مرور المشط عليها بخلاف شعور مينرفا التي اخترع الراسمون لجمالها ثمانية عشر طرازًا وكان مفترّ الثغر ناضر المحيا يرى بشفتيه ورد وجنتيه واسع الصدر قوي البنية شديد العزم عالي الهمة ذا قوة هرقلية وكان فتىً بعد ان قضى زمن الشباب في اللهو ولم يجده اللهو نفعًا عض اصابع الندم وساق الى انكلترة القدم بعد ان سمع بما للانكليز من التأني في السير والحزم في العمل فقصد بلادهم ابتغاء الاثراء بتعاطي الخدمة وقد طالما بحث عن مولى يشد به ازره ويستعين به على جور الزمان فجرت احكام القدر على عكس امانيه ولم يتسنّ له ان يستمر على الخدمة في منزلٍ من العشرة المنازل التي دخلها فان بعضها دهمتها صروف

الحدثان وتتابعت عليها مصائب الزمان فدرستها وجعلتها اطلالاً بالية وبعضها الاحر سطا على اهلها الطيش فمالوا الى الاسفار والتسوح في القفار ومرّت عليه هذه الاحوال على هذا المنوال الى ان استخدمه اخيرًا اللورد لوبحسيبري احد اعضاء مجلس الامة فلما رآه اللورد فضوليًا طرده من خدمته وكان اللورد اذ ذاك في شرخ شبابه يصبو الى اللهو والطرب ويقضي جميع لياليه في الحانات يعاقر بنت الدنان ويجالس بنات الغرام الى ان تتلاعب الخمرة بلبه وتذهب بصوابه فيؤخذ الى منزله محمولاً على اكتاف الشرط ففي احد الايام خطر لباسارتو ان يمحضه النصح لعله يرعوي عن غيه ويرتد عن ضلاله فيكافئه على نصحه وغيرته ففعل ولكن ساءت العقبى ورجع بالحنين بان طرده اللورد من الخدمة فخرج يلتمسها لدى غيره ولما علم باحتياج المستر فيلاس فوج الى خادم طفق يستقصي عن احواله ويستطلع طلع سيره فانتهى اليه من اخباره انه رصين رزين مستقيم الاطوار كريم الاخلاق لا يهوى الاسفار ولا التغيب عن الدار فسارع اليه ووقف بين يديه ثم تقيد بخدمته على ما مرّ بنا من الكلام

تقدم القول ان باسبارتو لبث وحده في المنزل بعد خروج سيده في طلب بعض الحاجات فلما رأى نفسه وحيدًا في المنزل جعل يطوف غرفه واحدةً بعد اخرى حتى انه لم يدع فيه حجرة او سفدا الا زاره فالفى ما زار في تمام الانتظام وكمال الاتقان

ولما وصل الى الطبقة الثانية عثر بالغرفة المعدة له فعرفها بداهةً فاعجبته وقد رآها متصلة بسائر غرف الدار بواسطة اجراس كهربائية وانابيب تردد الصدى ثم التفت الى الحائط فرأى ساعة تسير في الدقة سير ساعة مولاه المعلقة في غرفته وكلتاهما تسيران الثانية في آن واحد فسر بذلك وابتسم فرحًا وقال في نفسه: لقد زال النحس عني الى حيث. وبلغت ما كنت اتمني والله رحوم شفوق. ثم عاود النظر الى الساعة فرأى بالقرب منها لائحة الخدمة فهش وبش وطاب نفسًا وفرعينًا ثم طفق يقرأها واذا هي مشتملة على ما يأتي

ينهض فيلاس فوج من النوم في

الساعة الثامنة ويمكث في البيت حتى
الساعة الحادية عشرة ونصف

يُقدم له الشاي والحم المقلي في الساعة
الثامنة والدقيقة ٢٣

يؤتى له بالماء لغسل لحيته في الساعة
التاسعة والدقيقة ٣٧

يلبس اثوابه في الساعة التاسعة
والدقيقة ٤٠

ومن الساعة الحادية عشرة ونصف
صباحًا الى منتصف الليل يمكث في
الكلوب

والنتيجة ان تلك اللائحة كانت
جامعة لجميع ما يحتاج الخادم الى معرفته

اما حزانة الملابس فكانت الملابس
فيها مرتبة على شكلٍ عجيب فان كل
قطعة منها كانت معينة بنمرة متسلسلة
ومقيدة في دفتر «صادر» ودفتر «وارد»
ذكر فيها الزمن والفصل اللذين تلبس
فيها وكان للاحذية ترتيب آخر ليس
باقل غرابة من هذا الترتيب

وفي الجملة ان تلك الدار كانت
مرآة الترتيب ونموذج الانتظام ليس فيها
شيء عديم الفائدة وكان فيها للمستر فوج

مكتبة جزيلة المنفعة تحتوي على المؤلفات
وكان له غيرها ايضًا ثنتان في الكلوب
اودعت احداها كتب الفقه والثانية كتب
السياسة وكان في داخل غرفته خزانة
حديدية غير قابلة الاحتراق آمنة غدر
اللصوص ولم يكن في المنزل اسلحة نارية
او سيوف بتارة او آلات جارحة فانهُ كان
رجلاً ميالاً الى السلم والسكينة

وبعد ان طاف باسارتو جميع غرف
الدار ورآها على ما يروم وبتمنى سر سرورًا
لامزيد عليهِ فرقص فرحًا وطربًا وحمد
المقادير التي ساقتهُ الى مولاه المحب للضبط
اللازم للراحة المامقت للاسفار

ماالما غير مستحيل ولكن
دونه في سبلنا عقباتُ

الفصل الثالث

في جدال تكبد المستر فيلاس فوج
من اجله نفقات

بارح فيلاس داره ذات يوم في
وقته المعين بعد ان نقل قدمه اليمنى
خمسمائة وخمسًا وسبعين مرة واليسرى
خمسمائة وستًا وسبعين خطوة وصل الى
الكلوب « البناية الشاهقة التي أُنفق على

بابها قدر وافر من الدنانير لا ينقص عن ثلثة ملايين من الفرنكات فدخل غرفة فيها دات تسع مافذ تشرف على حديقة نضرة يكسوها الربيع ساطاً سندسياً مزيناً بالازهار والرياحين وكانت هذه الغرفة معدة لتناول الطعام فجلس على المائدة المعتادة ومد له السماط فتناول الغذاء وفي الساعة الثانية عشرة والدقيقة ٤٧ نهض عن المائدة ودخل قاعة الجلوس فناوله الخادم جريدة التيمس فتناولها من يده واخذ يقرأ فصولها بالامعان واستمر كذلك الى الساعة الثالثة والدقيقة ٤٥ وبعدها تناول جريدة الستاندرد وقضى في مطالعتها وقتاً طويلاً

وبعد ان فرغ من المطالعة وفد عليه زملاؤه الكلفون مثله بلعب الويست فجرت بينهم المحاورة الاتية

توما فلانجان · ماعندك ياصاحبي من العلم بامر السرقة التي نكب بها البنك

اندراوس ستوار · سيقوم البنك بادائها من عين ماله

جوتيه رولف · قد ارسلنا الى جميع مرافئ اوربا وامركا وثغور الارض جواسيس ماهرين من دهاة رجال الشرطة ليبحثوا عن اللصوص الذين ارتكبوا هذه الجناية ولنا ملء الامل بنجاحهم

اندراوس ستوار · هل يعرف الباحثون شبه اللص

جوتيه رولف هل تظنن ان مرتكب هذه السرقة لص لا وابيك

اندراوس ستوار · الا تطلق لقب لص على من سرق مثل هذا القدر العظيم من المال اي خمسة وخمسين الف ليرة او مليون و ٠٠ ٢٧٥ فرنك

جان سليمان من كان مرتكباً مثل هذه السرقة يدعى محترفاً لا لصاً

فيلاس فوج ان صحيفة الحوادث اليومية ترغم ان الجاني يعد من اشراف الانكليز وان هذه السرقة حدثت في ٢٦ سبتمبر على هذا المنوال كما تقول جميع جرائد الولايات المتحدة وذلك ان امين الصندوق بينما كان يقيد في الدفاتر دخل ثلثة شلينات وسبين وعلى مكتبه عدد من السفاتج بقيمة خمسة وخمسين الف ليرة اذ اغتالتها يد اللص من غير ان يشعر به احد

جرتيه رولف · من المستحيل ان ينتبه المرء لامرين في وقت واحد فقد روى احد المتقدمين على العادات الانكليزية انه مرّ يوماً ما ببنك لوندره فرأى على مكتب امين الصندوق سبيكة من الذهب تزن من سبعة الى ثمانية ليبرات فتناولتها بيدي لاتفرّج عليها ثم تناولها رجل كان بالقرب مني للقصد ذاته وهذا دفعها لذاك وذاك لآخر وهكذا اخذت تنتقل من يدٍ الى اخرى حتى وصلت الى يد من كان في منتهى دهليز البنك ولم تعد الى محلها الاصلي الا بعد نصف ساعة وذلك بدون ان يشعر امين الصندوق باخذها ونقلها على اكف المتفرجين او برجوعها الى مكانها فبناء على ما تقدم لا يصعب التصديق بحدوث السرقة التي نحن بصددها فان مستخدمي البنك يحسنون الظن بكل انسان وليس لديه حراس يراقبون ما يجري حوله والذهب والفضة كما لا يخفى مطمح انظار اللصوص فتأمل

وقد انتشر خبر هذه السرقة في جميع انحاء لوندره فتحدث بامرها القوم واهتمت الحكومة بالبحث عن مرتكبها فبعثت بالعدد العديد من دهاة الجواسيس والمفتشين الى اهم المرافئ كليفربول وجلاسكو وهامبر والسويس وبرندزي ونيويورك وغيرها ليراقبوا المسافرين ذهاباً واياباً ويقيموا فيها الى ان يتلقوا الايضاحات اللازمة عن شبه السارق وقد رسمت لمن يقبض عليه بجائزة قدرها الفا ليرة وخمسة في المائة مما يضبط من المال المسروق وقد قالت جريدة الحوادث اليومية ان الحكومة اتصلت بعد عناء الاستقصاء الى حصر الشبهة في مرتكب السرقة وكان رجلاً من الاعيان نظر يوم حادث السرقة في قاعة بيت المال يخطر الهوينا وقد اخذت رسمه وارسلته الى جميع الجواسيس الباحثين الذين ارسلتهم الى جميع الولايات المتحدة وغيرها من اهم ثغور الارض

وبالنظر الى هذه الاحتياطات جزم الناس في لوندره بوقوع السارق في قبضة الحكومة ثم حصل لهذه الحادثة بينهم اهمية كبرى حتى صارت موضوع احاديثهم اثناء الليل واطراف النهار

ولاسيما بين اعضاء الكلوب الذين يهمهم الوقوف على الخبر اكثر من غيرهم لان المستر حوتيه رولف وكيل البنك المسروق من رجال هيئتهم فلا عجب اذن اذا طال بينهم الجدال واختلفت منهم الاراء ومن جملة ما ذهبوا اليه الاقوال الاتية

المستر رولف لابد من وقوع السارق في قبضة الجواسيس لان الجائزة التي وعدناهم بها تقوي عزائمهم وتنهض هممهم

ستوار . ان ظنك ضعيف واراءك غير سديدة

رولف . اين يذهب السارق وقد شيئا من حوله العيون والارصاد

ستوار ان الارض واسعة وانحاءها شاسعة

فيلاس فوج كانت كذلك يوما ما

وقد طال الجدال بين هولاء الاعيان وهم جلوس امام طاولة الويست على هذا المنوال وقد تخلله العنف والحدة في نهاية كل دور من ادوار اللعب وبعد برهة عاد القوم الى الجدال فقال المستر ستوار . كيف ان الارض كانت واسعة واصبحت اليوم حرجة

رولف حرجة بمعنى ان الانسان يقدر ان يجوبها باسرع وقتًا عن ذي قبل بعشر مرات

فوج وهذا ما يمهد للسارق سبل الفرار ثم قال . تفضل والعب يامستر ستوار ولم ينتهِ دور اللعب الاول حتى علت ضوضاء الجدال فقال ستوار

ستوار . لله درك يامستر رولف هل يصح ان تقول ان الارض صارت حرجة اذا كانت تطاف اليوم في مدة ثلثة شهور

فوج . في ثمانين يومًا فقط

جان سيليفان . في الحقيقة ان الارض قد امست تطاف اليوم في ثمانين يومًا لان المرحلة التي كانت بين روتال والله اباد لم يعد لها من اثر اليوم بسبب امتداد السكك الحديدية في اقطار الهند وهاك التقويم المأخوذ عن جريدة الحوادث اليومية للطواف حول الارض

ايام

٧ من لوندره الى السويس بطريق جبل شينيس وبرنديزي على السفن

البحارية والخطوط الحديدية

١٣ من السويس الى بومباي على السفن البحارية

٣ من بومباي الى كلكوتا على الخطوط الحديدية

١٣ من كلكوتا الى كونكون (الصين) على السفن البحارية

٦ من كونكون الى يوكوهاما (اليابان) على السفن البحارية

٢٢ من يوكوهاما الى سان فرنسيسكو على السفن البحارية

٧ من سان فرنسيسكو الى نيويورك على الخطوط الحديدية

٩ من نيويورك الى لوندره على الباخرة ثم الخطوط الحديدية

٨٠

والمجموع ثمانون يوماً

اندراوس ستولر · اجل تُطاف الدنيا في ثمانين يوماً اذا لم يحدث في البحار انواء ولم تثر في الجو رياح ولم يطرأ على الخطوط الحديدية ما يؤخر السير عليها ولم تتعطل القطارات · قال ذلك متهكماً (وبينما هو آخذٌ في الكلام قطع على غير انتباه ورقة في اللعب تعرف بالدام)

فيلاس فوج · نعم تطاف بالرغم عن هذه الموانع (وهما قَطَعَ الجدال اللعب)

اندراوس ستولر نعم تطاف ولو اقتلع الهنود القضبان الحديدية واوقفوا القطارات واختطفوا العجلات وذبحوا الركاب حسبما تعودوا

فيلاس فوج . ولو لو · · (ورمى الى الارض بورقتين من ورق اللعب)

اندراوس ستولر من يقول شيئاً يجب ان يقرن قوله بالعمل واستغفر الله عن قولٍ بلا عمل

فيلاس فوج قطعت جهيزة قول كل خطيب فاني على اجابة ما تسألني قدير وما عليك سوى اعداد لوازم السفر فنرحل سويةً ونرى كل ذلك رأي العين وما راءٍ كمن سمع

اندراوس ستولر معاذ الله ان انقاد للطيش واركب الاخطار واقتحم الاسفار وانا في غنىً عنها ولكني اعقد صكوك الرهان مع امرئٍ كان يريد ان يتحرى الامر ويرحل هذه الرحلة التي لا تستطاع في تلك المدة المعينة واني مستعد

ان ادفع اربعة الاف ليرة انكليزية اي مائة الف فرنك قيمة الرهن

فيلاس فوج يمكن ذلك بسهولة وانا اقوم بهذه الرحلة ولكن على مصاريفك

اندراوس ستوارت . قاتل الله العناد والاستقلال بالرأي فتقدم للعب فان اللعب في هذه الجلسة خير من ضياع الوقت سدىً

ثم تناول ستوارت الورق بيده واعاده الى المستر فوج قائلاً له

دع الهزل جانباً فانا شئت عقدت معك رهاناً على اربعة الاف ليرة

فالتين لِمَ حركنا الجدال الى هذه الحال مع ان الكلام كان في بادئ الامر من قبيل المسامرة

ستوارت . لا ارجع عن كلامي

فوج . لي في بنك بارنج اخوان مبلغ عشرين الف ليرة فانا مستعد لان اعقد عليه رهاناً مع كل من يطلب ان اطوف حول الارض في ثمانين يوماً

سيليفان . تروَّ في الامر يا مستر فوج فان العجلة يعقبها الندم ولذلك يجب ان يسبق العمل التروي والامعان وليس من الحكمة ان يخاطر بمثل هذا القدر من المال ويخاطر ايضاً بالحياة في مثل هذه الرحلة فربما لقيت في سفرك ما ليس في الحسبان

فوج . مهما حال دون عزمي فاني واثق بنجاح هذه المهمة

سيليفان ان هذه المدة التي تحددها للطواف حول الارض جريدة الحوادث اليومية قليلة جداً

فوج ان القليل مع حسن استعماله كثير

سيليفان حذرِ حذارِ من ضياع الزمان فاعتبر انه يجب عليك ان تنتقل من السفن التجارية الى قطارات السكك الحديدية ومن هذه الى تلك من غير استراحة فيصعب عليك تكبد هذه المشاق وما اغنى فوادك عنها

فوج. ان ربَّ البيت أدرى بالذي فيه

سليفان دع الهزل فاني اراك تمزح

فوج بين الهزل والجد بونٌ عظيم وما الهزل من دأب الانكليز فاني قد عقدت العزم على الطواف حول الارض

في ثمانين يومًا اعني في تسع عشرة مائة وعشرين ساعة او مائة وخمسة عشر الفًا ومائتي دقيقة

ولما تاكد اعضاء الكلوب ذلك العزم قالوا قبلنا فاجابهم المستر فوج اني والحالة هذه ساركب القطار الذي يقوم من محطة دوفر في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ من هذه الليلة ليلة الاربعاء الواقع في ٢ اوكتوبر وستكون عودتي الى لوندرة يوم السبت الموافق ٢١ دسمبر وادخل هذه القاعة قاعة الكلوب التي نحن فيها الان واذا اخلفت الوعد فاكون قد خسرت قيمة الرهن ومبلغ العشرين الف ليرة المطلوبة لي من نارين احوال ثم كتب صك الرهان ووقع عليه المتراهنون وكانوا ستة اشخاص وبعد التوقيع لبث المستر فوج على جاري عادته ثابت الجنان غير مضطرب البال او خائف على ماله ان يفقد لانه عزم ان ينفق في رحلته العشرين الف ليرة واذا خسر الرهان يكون في الواقع قد فقد مثل هذا القدر ايضاً من المال فان ثروته كانت لا تزيد عن اربعين الف ليرة

اما بقية المتراهنين فقد اخذ الاضطراب منهم كل مأخذ وعلت وجوههم سمات الحيرة لا خوفاً من خسارة قيمة الرهن بل مما عساه ان يرشقهم به سكان لوندرة من سهام اللوم ونبال التعنيف انقياداً منهم لكلمةٍ تكون نتيجة الطيش واستقلال الرأي

وبعد التوقيع استأنفوا اللعب ثم امسكوا عنه بحلول الساعة السابعة ليتمكن المستر فوج من التأهب للسفر اما هو فالتفت اليهم قائلاً اني في استعدادٍ تام ولا شيء يعوقني ثم رمى ورقة « ديناري » وقال العب يا مستر ستوار

الفصل الرابع

في تعجب باسبارتو من سيده فيلاس فوج

استأذن فيلاس فوج رفاقه بالانصراف في الساعة السابعة والدقيقة ٢٥ وافترق عنهم بعد ان وضع في جيبه ما ربحه في اللعب وقدره ٢ جنيهاً وعند الساعة السابعة والدقيقة ٥٠ دخل داره واستدعى خادمه مثنى وثلاث ورباع فلم يجبه وذلك لفرط ما استولى عليه من العجب والانذهال عندما رأى مولاه آتياً قبل منتصف الليل

على غير مـا جرت عليه العادة ووالحا
باب صومعته على عجل ثم بعد ان
سكن جاش الخادم هرع الى غرفة مولاه
وامتثل بين يديه منتظرًا امرًا يقصيه
فادره اد داك بالسؤال قائلاً ناديتك
كثيرًا ولم تجبني فقال له ــ لم يحن
يا سيدي الوقت الذي تعود فيه الى
البيت على جاري العادة اد لم يحل
منتصف الليل بعد قال هذا واخرج من
جيبه ساعة فضية ضخمة الحجم

فوج طب نفسًا وسكن روعك
فاني لم اسق اليك الكلام من قبيل الملام
بل لامهد لك الخبر تمهيدًا وانبئك اني
قد عزمت على السفر فتهيأ لنرحل اولاً
الى دوفر ثم الى كاليه بعد عشر دقائق
من الزمان ومن كاليه نسير على قصد
الطواف حول الارض في ثمانين يومًا
واعلم ان ليس لنا من الوقت دقيقة او
ثانية نصرفها سدىً فاذهب واعدد حقيبة
السفر وضع لي فيها قميصين من المنسوجات
الصوفية وثلاثة ازواج من الجوارب
ولك مثلها ولا تنسَ عباءتي وغطاء النوم
وما يلزمنا غير ذلك نبتاعه اثناء الطريق

فلما سمع الخادم بذكر السفر حار في
امر سيده ثم وقف موقف التعجب فضرب
اخماسًا لاسداس وهم ان يعارض مولاه
لولا ان تجذبه جاذبة الاحترام له فلزم
السكون بالنظر الى ما رأى من رغبة
مولاه في سرعة السفر فخرج من لديه
واهن القوى لا يبدي حراكًا قلق البال
مضطرب الفكر ثم دخل اوضته وانطرح
على كرسي كان فيها فتأوه وتنفس الصعداء
حتى كاد يخنقه البكاء ثم ردد في نفسه
قوله ، طالما رغبت في الراحة ولم ابلغ
منها المراد كرهت سالف ايامي التي
قضيتها بتعليل الامال والان اصبحت
ابكي عليها

ربَّ يومٍ بكيت منهُ فلما
صرت في غيره بكيت عليهِ

قال . ولقد عللت النفس باللذة
المستمرة والتمتع برغد العيش ولكن
ما كل ما يتمنى المرءُ يدركهُ
تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ
ثم نهض يغالب الغم والكمد ويحاول
الاستمساك بعرى الصبر ويسأل الله
المعونة ويهيئ لوازم السفر والافكار

تتلاعب في رأسه تلاعب الهواء في اوراق الشجر فكان تارةً يذهب الى امكان عدم تحقق المقال وطورًا يجزم بصحة الخبر

وكانت تمر برأسه هذه الافكار ولا يهتدي الى حقيقة الامر سبيلاً

وبينما كان مفكرًا فيما طرأ على عادات مولاه بدلها وعلى اخلاقه مغيرها وكيف كان محبًا للعزلة يجنح الى الاسفار اذا به هش وبش واصبح باسم الثغر بعد ان كان مقطب الوجه وذلك اثر علمه بانه سيمر على دوفر فيدوس ارض الوطن العزيز ويمتع العين بمرأى باريس عاصمة بلاده التي كان يأمل ان يمر بها ويجلو بمشاهدتها عن فؤاده صدأ الكمد وعن قلبه غياهب الغم

وعند الساعة الثامنة احتمل جعبة السفر وذهب للقاء مولاه فوجده قائمًا على قدم الاستعداد للسير متأبطًا كتابًا مرشدًا الى مواعيد سفر القطارات والبواخر في انحاء البسيطة وريثما دنا منه تناول فوج الجعبة ففتحها واودعها قدرًا من السفاتج المتداولة في جميع سوكة الارض ثم اعادها اليه واوصاه بزيادة الاحتراس عليها والانتباه لها لان من داخلها اوراقًا ذات قيمة ٥ فرنك وبعد ذلك استعلم منه عما اذا كان اعد كلما اشار اليه باعداده فتناول الخادم الجعبة بيديه مرتخشين من ثقلها كأنه تصور ان القيمة التي فيها ذهب رنان وما كانت الا اوراقًا لا تزيد في الثقل عن مثقال ذرة

ثم خرج فوج وخادمه من الدار وغادراها وشأنها مغلقة الابواب فانطلقا الى اخر شارع سافيل حيث توجد محطة للعربات فركبا عربة واتجها بها الى المحطة المعروفة بمحطة شارين كروس التي يتفرع منها الخط الحديدي المعروف بالخط الجنوبي الشرقي وعند وصولهما اعلن جرس الساعة الكبيرة ان الوقت بالغ اذ ذاك حد الساعة الثامنة والدقيقة ٢٠ وريثما وقفت بهما العربة نزل الخادم منها قبل مولاه

وكان سبب نزول الخادم قبل سيده ان المستر فوج (مولاه) بينما كان ينقد سائق العربة اجرته تقدمت نحوه امرأة فقيرة عليها علائم الفاقة تقود بيدها اليمنى طفلاً وتبسط يدها اليسرى لطلب

الاحسان ملتحفة بلباس رثة فعندما وقع نظره عليها تحركت فيه عواطف الشفقة فاخرج من جيبه العشرين جنيهاً التي كان قد ربحها في لعب (الويست) ودفعة اليها قائلاً لها. خذي يا امرأة هذه النقود وسدي عوزك بها واحمدي ربك على كل حال

قال هذا وانطلق الى قاعة الاستراحة فتبعهُ خادمه مسروراً بما كان فرحاً بميل مولاه الى عمل الاحسان وصنع المبرات وعندما استقر بالسيد المقام نقد خادمه بعض الدراهم فاخذ بها تذكرتين للمرور على مقتضاها في قطارات السكة الحديدية بالدرجة الاولى الى مدينة باريس

وكان عند المحطة رفاق المستر فوج المتراهنون معهُ فتبادلوا النظرات والتحيات ثم وجه المستر فوج اليهم الخطاب فقال

انا ذاهب كما علمتم لانجاز ما وعدتكم به وقد اخذت معي تذكرة سفري التي سأسجلها في قنصلية دولتي في كل بلدة امرُّ بها لتكونوا على اقتناع بواقع رحلتي

فقال المستر ستوار لا يخفاك ان رجوعك سيكون يوم السبت الواقع في ٢١ دسمبر من السنة الجارية (١٨٧٣) في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ من المساء

فقال نعم واستودعكم الله الى يوم اللقاء

ثم ركب القطار مع خادمه في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ مساء تحت جنح ليلٍ اقبل عليه بجيوش ظلام ضارباً في الآفاق خيام القتام

وكان الجوُّ قد دكن والسحائب اسودت فتدفق منها المطر وهبت العواصف وثارت الانواء وجلجلت الرعود القواصف ولمعت سيوف البرق على صفحات الفضاء وكان فيلاس فوج متوكئاً على كفيه منزوياً في احدى زوايا العربة لا يفوه ببنت شفة وبالقرب منه خادمه قابضاً على الحصة بيديه يضمها اليه حرصاً على ما تحتوي عليه من الاوراق الثمينة ثم ان القطار لم يجاوز . سيدنهام . حتى صرخ الخادم صراخ الآيس وبكى بكاء البائس فسأله مولاه عن السبب فلزم الصمت واجماً فاعاد عليه السؤال فاجاب واجماً . . . قال

بالنظر الى العجلة . نسيت . . .

فقال فوج وماذا نسيت . . .

ــ نسيت المصباح موقدًا في اوضتي

فقال المستر فوج وسيبقى موقدًا على حسابك

الفصل الخامس

في اذاعة خبر حديث في انحاء لوندرة

لم يكن المستر فوج يجهل قبل مبارحته للوندرة ان الالسن العادلة ستتداول خبر رحلته وتتناول المنتديات الحافلة حديث سفرته وتلهج الجرائد بذكرها وتتناقل انباءها وتصبح مداولات النهار وتمسي سمر الليل في جميع الممالك المتحدة بالنظر الى اختلاف الطبقات والاجناس واشتغاف الناس في تلك الاقطار بعلم الجيوغرافيا واقبالهم عليه اقبال الظماء على موارد الماء وتداعيهم اليه تداعي الجياع الى القصاع

وكان الامر بعد سفر المستر فوج ان نهض كتاب الجرائد يقدحون زناد الفكرة ويشحذون القريحة في كتابة الفصول المطولة والمقالات المسهبة ما تبين اراءهم مسددين افكارهم فكان كل من طالعها حكم بتوارد خواطر كتابها واجماعها على تخطئة المستر فوج لتحمله تبعة تلك الرحلة واحتماله مشاقها لكونها ليست بممكنة الزوال على مثل هذا المنوال بل تعد ضربًا من المحال ومن اشهر تلك الجرائد التيمس والستاندارد والافنين ستارد والمورنين كرونيكل وغيرها بما يبلغ مجموعه العشرين عدًّا ولم تصوب رأيه الا جريدة الدايلي تلغراف فانها حكمت بامكان ظهور ذلك التصور الى عالم الفعل

وقد كثر في تلك الفرصة المتشوقون لمطالعة الجرائد فلم يبقَ كبيرٌ او صغير عظيم او حقير الا انكبَّ على قرأة الصحف وامعان النظر في منشوراتها المتعلقة بطواف فيلاس فوج حول الارض وبما كانت ترويه عن السنة المتحدثين في مجلس القوم فصويب اسهم اللوم نحو فيلاس فوج بحيث لم يبقَ احد من كبارها في العاصمة الانكليزية الا سلقه بالسنة حداد وانزله منزلة الجهلة الاغبياء الذين استولى عليهم الحمق وتولاهم الجنون

ولقد حدث في بعض الايام الاوائل من سفر فيلاس فوج ان جريدة الايلوستراتد لندن نشرت فصلاً طويلاً

فصيح العبارة وذيلته بصورة فيلاس وضمنته الاسانيد الدامغة على نجاح مشروعه وافضل الناس على قرأته من كلا الجنسين فمنهم من اخذ ناصر فوج راغمين انهم سمعوا بما هو اشد منه غرابةً وقائلين ان ليس في الكون شيء غير ممكن ما هو خاضع لاحكام الطبيعة

وقد شفع هذا الفصل بفصل آخر نشرته جريدة الدالي تلغراف باحثةً في ارجحية الامر من حيث امكان حدوثه فاصغت اليه الآذان ولم يرسخ في الاذهان

والطير قد يسوقهُ للموتِ

اصغاؤهُ الى حنين الصوتِ

ولكن لنكد الطالع ما لبثت جريدة الدالي تلغراف ان وهنت قواها وكلت عزائمها وعيرت رأيها وبدلت مشربها

وقد نشرت جريدة الجمعية الجيوغرافية الملكية فصلاً طويلاً في تاريخ ٧ اوكتوبر تحاملت فيه على المستر فوج ورمتهُ بضعف العقل والحمق واختلال الشعور لتحديده ميعاداً قصيراً وزمناً يسيراً لاتمام رحلتهِ المهمة فقالت ان القدر يعمي البصر . ثم قالت . يا للعجب كيف امال المستر فوج نظره عن الموانع الطبيعية والعوائق المادية التي تحول دونهُ لانجاز الوعد وبلوغ القصد . كيف انهُ جهل ما يلزم ان يكون نصب العين من طوارق الحدثان على الخطوط الحديدية التي لا تسلم من العطب باجتيازها الهند في مدى ثلثة ايام والولايات المتحدة في مدى سبعة ايام اخرى فتتأخر عن الوصول في مواعيدها الى اماكنها المقصودة وذلك على افتراض ان تخرج في المسير عن الخطوط او تثور عليها العواصف ويتساقط الثلج عليها كثيفاً فاذا كان في اوربا لا يعتمد على قطارات السكك الحديدية ان تصل في مواعيدها المعينة فكيف بالهند وشتان بين اوربا والهند

قالت الم يعِ المستر فوج انهُ يحتاج ان يركب البحار على اجنحة البخار فاذا ركبها وازبد البحر وهاج وتلاطمت فيه الامواج تميل به الباخرة مع الهواء ذات اليمين وذات اليسار وتلقى ما يلجئها الى التأخر اربعة او خمسة ايام عن الوصول الى المرافئ التي تقصدها ويكون اذ ذاك

قد انقطع خط الوابورات عن اطراد المواصلات ويحتاج رحل الرحلة الى الانتظار مدةً ليثما يأتي البريد الثاني فيحمله الى حيث يريد وهذا يكفي لحبوط الخلل بحسابه انتهى

وقد كان لنشر هذا الفصل وقع حسن في نفوس القراء فنقلته جميع الصحف وشفعته بالشروح والزيادات

اما سكان لوندرة فطفقوا يتراهنون على نجاح رحل الرحلة او عدمه حتى اصبحت اشغال الاكتساب محصورة في صكوك الرهان

ولا اكتم عن القراء الكرام ان الانكليز تميل بهم فطرتهم الغريزية الى الرهان فجعلوا لذلك اوراقاً لفيلاس فوج تتداولها الايدي كاوراق البورصة فكانت اسعارها ترتفع تارةً وتهبط طورًا من غير ان تستقر على حال

كريشةٍ في مهب الريح طائرة
لا تستقر على حالٍ من القلقِ

وقد استمرت هذه الاوراق على هذه الحال بين هبوطٍ وارتفاع الى ما بعد نشر ذلك الفصل في جريدة الجمعية الجيوغرافية بخمسة ايام وعند ذلك هبطت اوراق المستر فوج هبوطاً فاحشاً اذ رسخ في عقول القوم انه يستحيل عليه انجاز رحلته وايقنوا ان آمالهم لا تحقق بعد ان كانوا آملين بالنجاح

وكان بين هولاء المشتغلين بامر المستر فيلاس رجل طاعن في السن يدعى اللورد العرمال فهذا اللورد كان يود ان يهب كل ماله لمن يطوف به الدنيا ولو بعشر سنين ولذلك لبث وحده متشيعاً لمستر فيلاس وضامناً له النجاح وقد تراهن مع آخر على ذلك معرض ان يدفع خمسة الاف ليره اذا لم يصدق في حسابه ولما كان خلانه يتجادلون معه اطراف الجدال ويوردون له جميع الاقوال الجازمة بخيبة الامال كان يجيبهم قائلاً . اذا لم تأتِ المهمة التي اتخذ فيلاس تبعتها على نفسه بالفائدة المقصودة فحسبنا افتخارًا ان رجلاً انكليزيًا قام بقضائها

وحدث انه في الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم تلقى رئيس الشرطة في لوندرة تلغرافاً هذا تعريبه

(انا سائر وراء لص البنك فيلاس

فوج . لرسل حالاً امرًا الى بومباي بالقاء القبض عليه)

(الامضاء)

فيكس

فكان لورود هذا التلغراف تأثير عظيم في سكان لوندرة . وكان فيلاس في الواقع يشبه بوجهه واعتدال قوامه ذاك الرجل الذي اعطيت جميع صفاته لرجال البوليس ليقبضوا عليه

وعندما علم الناس بهذا التلغراف هاجت فيهم سواكن الظنون واخذوا بالغيب يرجمون ويبكرون على المستر فيلاس رحلته بحجة الطواف حول الارض في ثمانين يومًا وانه لا بد ان يكون للامر سرٌّ عظيم بخالف الظاهر والله اعلم بالسرائر

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ

الفصل السادس

كيف ان فيكس اصاب في
قلة الاصطبار

ان الفرص التي سمحت لفيكس وبعثته على ارسال التلغراف الذي تقدم عليهِ الكلام في الفصل السابق كانت على نحو ما يأتي :

حدث انهُ في الساعة الحادية عشرة من صبيحة يوم الاربعاء الموافق ٩ اوكتوبر تقاطرت الجموع في مدينة السويس الى الرصيف لانتظار وصول الباخرة موبجوليه من بواخر الشركة الشرقية في البحر المتوسط المصفحة بالحديد والتي محمولها الفان وثمانمائة طن وقوتها خمسمائة حصان وخطة سيرها واقعة ما بين برندزي وبومباي بطريق السويس وهي من افضل بواخر الشركة واسرعها سيرًا ومعدل سيرها بين برندزي والسويس عشرة اميال وبين السويس وبومباي تسعة اميال ونصف ميل

وكان يدرج بين اولئك الجموع المختلفي الاجناس المنتظرين وصول الباخرة الى مرفاء السويس (وهي المدينة التي احيا الموسيو دي لسبس رسمها وهيأ لها مستقبلاً سعيدًا) رجلان يتمشيان على رصيف البحر احدهما وكيل قنصلية حكومة الولايات المتحدة وكان ينظر بعين الفكر الى مرور السفن الانكليزية بترعة السويس وذهابها الى الهند بمسافة نصف المدة التي

كانت تقضيها في الذهاب اليها عندما كانت تجتاز راس الرجاء الصالح طريقًا لها فكان يهيج فيهِ هذا التأمل عامل الحسد ويثور عليهِ الانفعال النفسي والغيظ من حكومته لعدم قيامها بهذا العمل الخطير دون سواها

والثاني رجل قصير القامة نحيف الجسم تلوح عليه مخايل الحذاقة والذكاء ذو عينين زرقاوين تنفذ اشعتها من بين اهدابها المسترسلة على الوجنتين وكان يلوح عليه انهُ مصاب بداء الاعصاب وكان يمتنى نحلة في الذهاب وقلة صبرٍ في الاياب وكان اسمهُ فيكس وهو احد رجال الشرطة الانكليزية الذي جاء من قبل حكومته مينا السويس بصفة جاسوس يراقب جميع الذاهبين الى الاقطار الهندية بغية الاكتشاف على اللص سارق بنك الملكة ويكبله بالقيود وينال على القبض عليه الجزاء المعهود والمبلغ الموعود . وكان منذ يومين قد تلقى رسم شبه السارق من قبل مدير عموم البوليس في لوندرة فكان لذلك في انتظار وصول الباخرة مروع صبر بحيث كان كلما مرت دقيقة

خالها ساعةً ومن فرط ما كان مستحوذًا عليه من القلق اخذ بالاستعلام من حضرة القنصل عما اذا كان من المحتمل ان تبطئ الباخرة عن مواعيد حضورها فاجابه لا لكونها من اسرع السفن سيرًا وقد حازت قصب السبق في سباق البواخر الذي تجريه الحكومة في كل سنة وجائزة خمسة وعشرين جنيهًا ومع هذا وذاك فانها وصلت بالامس الى بورسعيد وقد بقي عليها ان تقطع مائة وستين كيلو مترًا لتصل الى هنا فقال — أَلعلها تصل من برندزي رأسًا فاجاب — أَجل فانها بارحت برندزي يوم السبت في نحو الساعة الخامسة بعد الظهر حاملةً بريد الهند وستصل الينا عاجلاً فقال اذًا ما بك من قلة الصبر ولكن قل لي كيف يمكنك ان تعرف من التعليمات التي تلقيتها شخص اللص اذا لم يكن على ظهر السفينة فاجاب بالدهاءة وحسن التفرس كما عرفت غيره من قبله فقبضت عليهِ واذا لم يكن اللص على ظهر الباخرة فلا يفلتنَّ من يدي اينما كان — فقال لهُ القنصل اتمنى لك ان تصيب المرمى وتنجح في مهمتك لان

السرقة مهمة . قال وليس اهم من سرقة خمسة وخمسين الف ليرة فلما سمعا مثلها فقال القنصل اسأل لك النجاح ولكن ارى ذلك صعبًا عليك فالتعليمات التي وردت اليك تدل على ان اللص شخص ذو هيئةٍ تدل على كونه من خيار الناس وعظماء القوم

فقال فيكس ان كبار اللصوص يرتدون من الملابس افخرها ويتظاهرون من الاخلاق بافضلها فيتقمصون ثوب الكرامة وما هم بكرام ليدفعوا عنهم الشبهات ولا يكونوا عرضةً للقيل والقال وهدفًا لملام العذال بل يمارسون مهنتهم بمزيد الحذق والدهاء فلا يمشون في الارض مرحًا او يتصرفون بغير تأنٍ وتدبيرٍ وذلك خشية ان يكشف امرهم ويعلن سرهم

ولما اقبل زمن وصول الباخرة اخذ الناس يتقاطرون افواجًا حتى غصت بهم الارصفة وحتى كاد الزحام يمنعهم من الحركة فمنهم نوتيون من جميع الاجناس ومنهم تجار وسماسرة وحمالون وفلاحون وكان الوقت رائقًا والجو صافيًا والهواء لطيفًا منعشًا والمنظر مبهجًا وسحابات المدينة تتفياء ظلال المآذن وكانت الزوارق تشق عباب المياه فتطرح الشباك لصيد الاسماك وكان منها ما ينطلق الى الباخرة فينقل ركابها الى البر

وكان فيكس يجول بين الجموع ويحدق بصره بكلٍ منهم فلما حلت الساعة العاشرة ونصف ولم تقبل السفينة على المرفاء هاج فيه القلق فدنا من القنصل وسأله قائلاً

الم تصل الباخرة بعد

ليست بعيدة من المينا

كم من الزمان تمكث هنا

اربع ساعات متتابعة اي الى ان يتم تفريغ شحنها ثم تذهب الى عدن قاطعة الف وثلثمائة وعشرة اميال وهناك تذخر الفحم وسائر ما تحتاج اليه وبعد ذلك تتوجه الى بومباي رأسًا

اذا لم يكن اللص راكبًا السفينة فلا بد له ان ينزل منها الى السويس ليركب سفينةً اخرى تكون قاصدة مستعمرات هولانده او فرنسا حيث يتسنى له الفرار فانه لا مفر له من القبض عليه في الهند الانكليزية هذا اذا لم يكن اللص من زمرة

الاشقياء فانه يفضل الكوث في لوندره والبقاء فيها

وبينما كان فيكس يقلب اوجه المسألة ويتأملها اذ تركه القنصل وتوجه الى مكتب القنصلية الذي لا يبعد عن المحطة فبقي فيكس يرقب وصول الباخرة بقلة اصطبار كانه واثق بوجود اللص فيها فانه ادرك سهولة فراره من هذه الطريق وصعوبة هربه من طريق بحر الاتلانتيك وبينا كان غائصاً في بحار الافكار تائهاً في مغاور التأمل اذا بضوضاء قامت تحت السماء وصفير يطرق الآذان وطائفة الحمالين تتسابق الى الرصيف لتحمل امتعة الركاب فتنبه فيكس من غفلته واجال نظره فرأى الاصابع تشير الى السفينة التي رست في المينا في نحو الساعة الحادية عشرة اما الركاب الذين كانوا فيها فكانوا عديدين واكثرهم لبثوا على ظهرها يبصرون عن بعد موقع المدينة ورونقها

وكان فيكس يتوسم اوجه الخارجين من البحر ويقلب فيهم الطرف فرأى رجلاً بيده تذكرة مرور يتخلل الجموع فدنا منه وسأله عن مركز قنصلية انكلترة فتناول فيكس التذكرة من يده وقرأ بمحلها العلامات المعتادة الدالة على هيئة صاحبها فاذا بها مطابقة تماماً للعلامات التي تلقى العلم بها من مدير عموم البوليس فسر بذلك واخذت يده ترتجف ارتجاف الفرح وفؤاده يرقص طرباً ثم سأل سائله بقوله

هل تخصك هذه التذكرة

لا بل هي لمولاي

واين هو

لم يزل في السفينة

يجب ان يحضر بذاته الى مكتب القنصلية

وهل هذا الامر ضروري

نعم ولا يتم شيء الا باتمامه

واين مكتب القنصلية

في منتهى هذا الشارع

(واشار الى منزل لا يبعد عن محلهما سوى مائتي قدم)

انا عائد لانادي مولاي ولا شك ان هذه المتعبة لا ترضيه . ثم حيى فيكس وذهب

الفصل السابع

في ان تسجيل تذكرة المرور ليس الزامياً

بارح فيكس الرصيف وانطلق الى مكتب القنصلية وما لبث ان وصل اليه وبالرغم عن معارضة الحجاب ولج الباب بلا استئذان وقبل ان يصدر القنصل بالسلام ساق اليه الكلام فقال

بالادلة الكافية والعلائم الوافية ظهر اللص على ظهر الباخرة مونجوليه وقد خرج خادمه الى البر وقصد الحضور اليك لتسجيل تذكرة المرور

ثم قص عليه ما توقع له وبعد استيفاء الحديث اجابه القنصل

كل لص او سارق يبذل جهده في سبيل مواراة خبره ومحو اثره ولا يبحث عن حتفه بظلفه ولذلك تراني مرتاباً فيمن وقع عليه ظنك بل غير مصدق ان يكون هو اللص المقصود فان اللص لا يجسر على الحضور الى دار القنصلية ليسجل تذكرة سفره في حالة كونه ليس بالامر الالزامي

ان اللصوص يستعينون احياناً بتسجيل تذاكر سفرهم ليسهل عليهم الفرار واني لعلى وطيد امل ان مولاي يأبى عليه التسجيل اذا لم تمثل بين يديه

ليس لي وجه للاباءة اذا لم تكن تذكرته قانونية

في عزمي ان القي القبض عليه هنا ريثما تصلني التحليات بشأنه من لوندره

انت ادرى بواجباتك من غيرك اما انا فلا استطيع ان . .

ولم يتم كلامه حتى قرع الباب ودخل عليه احد الحجاب برجلين غريبين وكان احدهما المستر فوج والثاني خادمه وبعد السلام قدم المستر فوج للقنصل تذكرة سفره راجياً تسجيلها فاخذها القنصل وقلبها ظهراً لبطن ثم قرأها معمناً فيها النظر وبعد ان قرأها سأل صاحبها ٠

هل انت المستر فوج

نعم يا مولاي

وهل هذا الرجل هو خادمك

(واشار الى باسبارتو)

اجل وهو فرنسوي يدعى باسبارتو

وانت آتٍ من لندن

نعم

والى اين انت ذاهب

الى بوماني
اعلم ان تسجيل التذاكر ليس امرًا الزاميًا
اعلم ذلك ولكن اطلب اليك تسجيلها لأرب لي
فليكن كقولك
وللحال تناول القنصل ختم القنصلية فختمها به وخط فوقها تاريخ التسجيل ثم اعادها اليه فاخذها ونقد القنصل الرسم ثم حياه وخرج من لدنه عائدًا الى الباخرة
واتفق انهُ بعد خروجه ظهر فيكس من خبائه ووجه اليه القنصل الخطاب الاتي
ماذا رأيت فيه
علامات الاستقامة والشرف
الم ترَ فيه علامات اللص واحدةً بعد اخرى
ربما تكون فيه بعض العلامات التي تشير اليها لا جميعها
بل جميعها يا مولاي وتحقيقًا للظنون ها انا ذاهب لالقى خادمه الذي يلزم ان يكون مهذارًا وسليم الطوية لكونه فرنسويًا فلا يخفي خافيةً على سائليه

ثم خرج من لدن القنصل يبحث عن ماسبارتو
اما فيلاس فوج فبعد خروجه من دار القنصلية قصد جهة المينا ومنها ركب قاربًا فاوصله الى الباخرة فصعد اليها ودخل فيها حجرته واخذ دفترًا مخصصاً للاشتمال على الايضاحات الاتية
بارحنا لندن في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ من صباح الاربعاء الواقع في ٢ اوكتوبر ووصلنا الى باريس في الساعة السابعة والدقيقة ٢٠ من صباح يوم الخميس الواقع في ٣ اوكتوبر
خرجنا من باريس في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٠ من صباح الخميس الواقع في ٣ اوكتوبر ووصلنا الى تورينو من طريق جبل سينيس في الساعة السادسة والدقيقة ٣٥ من صباح يوم الجمعة (٤ اوكتوبر)
بارحنا تورينو في نحو الساعة السابعة والدقيقة ٢ من صباح اليوم ذاته فوصلنا الى برنديزي في الساعة الرابعة من مساء يوم السبت الواقع في ٥ اوكتوبر
وفي الساعة الخامسة من اليوم المذكور

ركبنا الباخرة مونجليه قاصدين السويس ووصلنا اليها في الساعة الحادية عشرة من صباح الاربعاء تاسع اوكتوبر فيكون مجموع ساعات سفرنا مائة وثماني وخمسين ساعة وخمس وعشرين دقيقة اي ستة ايام ونصف يوم

وكان المستر فوج يرقم هذه التواريخ في دفتر خصصه لرحلته يبتدئ من ثاني اوكتوبر وينتهي في الحادي والعشرين من دسمبر وقد اتخذه لبيان الاشهر والاسابيع والايام ومواقيت الوصول الاعتيادية الى كلٍ من المدن الاتية اسماؤها

باريس
برندزي
السويس
بومباي
كلكوتا
سنغابور
كون كون
يوكاهاما
سان فرنسيسكو
نيويورك
ليفربول
لوندره

وقد قصد بذلك ان يبين الساعات المكتسبة في السفر فيعلم اذا كان متقدمًا او متأخرًا عن المواعيد المقررة لرحلته . وكان وصوله الى السويس في الميعاد المضروب له من غير تقديم او تأخير

الفصل الثامن

الحلم زينٌ والسكوت سلامةٌ
فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما ان ندمتُ على سكوتي مرةً
الا ندمت على الكلام مرارا

بينما كان باسبارتو يمشي على رصيف المينا ويقلب الطرف في مناظر لم تخطر له بخاطر اذا فيكس وقد عليه واقترب منه واخذ يكلمه بما يأتي :

لعلك تكون قد انهيت تسجيل تذكرة المرور . . فاني اراك طافح الفؤاد بالسرور تجيل طرفك في منظر هذه المدينة البهج

اهلاً بك ومرحبًا ايها الصديق . نعم قد انجزنا اعمالنا ولم يبقَ مانع يحول دون سفرنا سوى سير الباخرة ولا اخفي عليك

انذهالي من سيرنا السريع فاني آكاد لا اصدق بوصولنا الى مدينة السويس المصرية والبقعة الافريقية واوشك ألّا اتيقن ببارحتنا لباريس عاصمة الفرنسيس التي تجلو عن القلوب صداء الكروب واني لآسف كثيراً على عدم تمكني من الاقامة فيها مدة طويلة فاني مررت بها مرور الخيال ولم انظر اليها الا من نوافذ العربة التي ركبناها بين المحطة الشمالية ومحطة ليون

يظهر من كلامك انك في حاجةٍ كلية الى الاسراع في السفر

ان مولاي مضطرٌ الى الاسراع في المسير ومن غريب هذا الاضطرار ان سفره كان على حين بغتة فلم نتمكن بسبب ذلك من استحضار ما يلزمنا في سفرنا ولذلك امرني اليوم ان ابتاع ما هو في حاجةٍ اليه من الجوارب والقمصان فهل لي بحسن ولائك وكرم اخلاقك ان ترشدني الى السوق لابتاع لوازمنا قبل فوات الوقت

حباً وكرامةً اما الوقت فلا تخشَ فواته فانا الان في اوان الظهر

لا لم يحل وقت الظهر بعد وما الساعة الان الا ٩ والدقيقة ٥٢ (قال ذلك واخرج ساعة ضخمة من جيبه).

الان حل وقت الظهر تماماً وساعتك تؤخر ساعتين في الدلالة على الوقت وربما كان هذا التأخير ناشئاً عن تطبيقها على ساعة لوندره فحصل الفرق لذلك فعليك بضبطها على ساعة السويس لتتمكن من معرفة سير الارض حول الشمس

سيان عندي وقفت على معرفة الاوقات او لم اقف فعلى الوقت ان يسير على مقتضى سير ساعتي التي ورثتها عن اجدادي ولا تؤخر في السنة خمس دقائق

الكم قادمين من لوندره رأساً

نعم وقد بارحناها من يوم الاربعاء

والى اين مولاك ذاهب

ليطوف الكون في ثمانين يوماً وقد عقد رهاناً على ذلك زاعماً انه يتم الامر الذي لا اخاله ممكن الحصول وانا اطلب اليك الاّ تبوح بالخبر لاحدٍ من البشر عارفةً واحفظه في زوايا الصدور

— وانا لا اخال ذلك محتمل الحدوث ايضاً ولا بد ان يكون من طي الامر امور

لم ادركها ومقاصد لم اعرفها فاخبرني حماك الله هل ان مولاك غني وهل انت مقيد بخدمته منذ زمنٍ طويل

انه ذو ثروة وامرة وهو الان يجمع قدرًا عظيمًا من سفاتج البانكات وقد سمعته اليوم يعد مهندس الباخرة مرتجوليه بجائزة عظيمة اذا بلغنا بومباي قبل الميعاد المعين واعلم اني لم اعرفه الا في اليوم الذي بارحنا فيه لوندره وكان اليوم الاول من دخولي في خدمته

وكانت هذه الايضاحات تزيد طون فيكس تحقيقًا واعتقاده بما توهمه صحيحًا وبعد ان القى باسبارتو اليه هذا البيان طفق يفكر في الامر ثم ساقه التفكر الى التبصر بسفر المستر فوج الذي اعقب حادث السرقة بايام قليلة وعدد اليه تهمة ضعيفة موهة على الناس بغير برهانٍ وقياس وقد ايد رأيه قول باسبارتو له انه لم يكن يعرف مولاه ولا سبب ثروته وغيابه

وبينما كان فكس نشوانًا بخمرة الاماني مبددًا ظلمات الارتياب اذ سأله باسبارتو قائلاً

ـ ابعيدة بومباي من هنا وفي اية ارض هي

ـ تبعد من هنا نحو عشرة ايام وهي من ارض الهند

هل هي من ضمن قارة اسيا

نعم

آه قصت عليّ العجلة يوم سفري ان اترك في حجرتي مصباح الغاز موقدًا ولما بلغت مولاي ذلك قال لي انه سيبقى موقدًا على حسابي وقد عدلت الخسارة فعلمت ان ثمن الغاز الذي يحرق في مدى اربع وعشرين ساعة يبلغ عشرة شلينات وهو ما يتجاوز راتبي اليومي بستة بنسات ومدة السفر كما تعلم طويلة فيا للعمل

فلما سمع فيكس هذا الكلام لزم السكوت مرجحًا احتمال وقوع الامر ثم استمرا سائرين ولما وصلا الى السوق غادر فيكس رفيقه باسبارتو وقد ودعه واوصاه بعدم التأخر حذرًا من سفر الباخرة قبل ان يعود اليها ثم انطلق الى مكتب القنصلية فلقي القنصل جالسًا على كرسيه فابتدره بالكلام قائلاً

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً

ويأتيك بالاخبار من لم تزودِ

لقد وقفت على الحقيقة ولم يعد مجال للريب فاللص في قبضة يدي وسانبعة الى الهند الى ان يرد لي الامر بالقبض عليه فاسوقة دليلاً

ثم نهض وتوجه الى مكتب التلغراف وارسل تلك الافادة التلغرافية التي تقدم الكلام عليها في الفصل الخامس

وبعد ذلك اعد لوازم السفر من ملبس وديبار ثم ركب البحر على ظهر الباخرة مونجوليه التي ما لبثت ان سافرت تشق عباب البحر الاحمر سائرة الى حيث تقصد

الفصل التاسع

كيف ان البحر الاحمر وبحر الهند اعانا فيلاس فوج على بلوغ امانيه

سارت الباخرة تقطع المسافة الكائنة بين السويس وعدن سير الاطيار وتجد في السير حذر التأخر عن الوصول الى بومباي في الميقات المعين وكان اغلب ركابها قاصدين الهند فمنهم من كان متوجهاً الى بومباي ومنهم من كان ذاهباً الى كلكوتا من طريق بومباي التي اصبحت الطريق الاقرب بعد ان مدت خطوط السكك الحديدية في جميع اراضي شبه الجزيرة الانكليزية ولم تعد ضرورة هناك للمرور من رأس جزيرة سيلان

وكان بين ركاب السفينة جمع غفير من الموظفين الملكيين ومن امراء العسكرية في جيش الاحتلال الانكليزي وفي جيش سيبايس الوطني وكلهم يتمتعون برواتب فادحة فوكيل الفريق منهم في العسكرية يتناول راتباً يبلغ ٧٠٠٠ من الفرنكات ورئيس الفرقة ٦٠٠٠ فرنك والقائد ١٠٠٠٠ فرنك (١)

وكان على ظهر الباخرة ايضاً قوم من الشبان الانكليز ذاهبين الى الهند بالقناطير

---

(١) اما رواتب الخدمة الملكية فكانت لا تجاوز رواتب امراء العسكرية مقداراً فان كانت رواتب المساعدين في الادارات من الدرجة الاولى ١٢٠٠٠ فرنك ورواتب القضاة ٦٠٠٠٠ فرنك ورواتب قضاة مجلس الاستئناف ٢٥٠٠٠٠ ورواتب المديرين ٣٠٠٠٠ ورواتب الحكمدار العام نيفاً و ٦٠٠٠٠٠ فرنك

المقنطرة من الذهب الرنان لينشئوا بها البورصة والمحلات التجارية وقد امتزجوا بسائر الركاب امتزاج الماء بالراح واختلطوا بهم اختلاط الروح بالجسد فعندما كان يهدأ البحر وتسكن فيه حركات المد والجزر كانوا يقضون الاوقات بالمسرات فيرقصون ويعزفون بآلات الطرب ويتمايلون بفعل الخمرة تمايل الاغصان ويشنفون الاذان بضروب الالحان ولا ينفكون عن اللهو والطرب الا عند ارباد البحر وتلاطم الامواج واهتزاز السفينة فيدخل كل منهم حجرته ويتوسد فراشه فتهدأ ضوضاء الاصوات وتعقبها اصوات الزوابع ودمدمة الرعود وهدير السفينة السائرة نحو باب المندب ·

وكانت الخدمة في تلك الباخرة غاية في الاتقان فالسماط يمد للركاب اربع دفعات في اليوم ويقدم لهم من فاخر المشروبات والماكولات فياكلون مريئاً ويشربون هنيئاً

اما فيلاس فوج فماذا كان يقضي الاوقات · أ بخوضه في اضطراب الماء واشتداد الانواء ام كان مستسلماً الى هبوب العواصف القواصف وتتابع الزوابع شأن الخائف من توقف السفينة عن المسير والتجائها الى احدى المرافئ القريبة اثناء جسامة الاضطراب وخشية ان يكون ذلك داعياً الى تأخير سفره · ام كان ينظر بعين بصيرة الى المصاعب المحدقة به وبالاخرة فيشتد عليه القلق وتظلم الدنيا في عينيه · — لا وابيك بل كان جالساً في حجرته غير مبالٍ بموقع البحر الاحمر الذي حصل على المقام الاول في تاريخ المعجزات البشرية وغير ملتفتٍ الى المدن العديدة التي كان يراها الناظرون على شواطئ البحر وغير مكترث بالخطر الذي كان يتوعد السفينة في ذلك البوغاز الذي قلما اجتازته باخرة (على قول الواصفين) من غير ان يلحق بها ضرر ولا تتعطل آلاتها — فهو الرجل الذي عرف بالرصانة والتجلد والحكيم العاقل الذي بات لا يستطيع احد استطلاع خفاياه وامسى لا شيء يؤثر فيه

وكان يقتل الاوقات في كل يوم بتناول ما كان يقدم له من الطعام اربع دفعات في اليوم ويلهو بلعب الويست مع من القاه في السفينة على شاكلته وكان الذين عرفهم في الباخرة ممن كان على طرازه احد ماموري جباية الاموال الاميرية الذي كان ذاهباً الى مركزه في كوا وحضرة الوزير ديسموس سميث الذي كان عائداً الى بومباي والقائد العام للحملة الانكليزية في الهند الذي كان ذاهباً ليلحق باركان حربه بيارس.

اما باسبارتو فكان منزوياً في حجرة قائمة عند مقدم السفينة غير منزعج من الم البحر شديد القابلية للطعام وكان في عزلته يتأمل هذه السياحة التي توفر له فيها لذيذ الطعام وطيب المنام وشهي المدام ومشاهدة بلاد غريبة فكان لذلك رافلاً في حلل الصفاء ذاكراً مع ذلك ان هذه السعادة لا بدّ من زوالها فيطير عقله شعاعاً ويذوب قلبه اسفاً والتياعاً.

وفي اليوم التالي لسفره من السويس الذي كان واقعاً في ١٢ اوكتوبر حدث انه التقى على ظهر السفينة بصديقه فيكس الذي تعرف به في مدينة السويس واسترشده الى دار القنصلية وسوق الباعة فحياه بالسلام واظهر له مزيد سروره من المقادير التي ساقته الى الاجتماع به مرةً اخرى ثم دارت بينهما المحاورة الاتية

باسبارتو — الى اين ذاهب

فيكس — الى بومباي

حبذا الحسن الطالع — هل سافرت اليها غير مرة

نعم ذهبت اليها مراراً لانني من وكلاء شركة الوابورات الشرقية في البحر المتوسط

ماذا انت تعرف الهند

فرأى من هذا السوال ما كاد يوقعه في الارتباك ولكنه ما لبث ان اجاب

نعم ولكن ...

ثم حاول ان لا يسوق الحديث الى الكلام على الهند وبعد برهةٍ قال له باسبارتو

كم في الهند من مناظر مدهشة

شيءٌ كثير فانك تشاهد فيها المآذن والمداخن والهيا كل ومعابد الاصنام وجميع انواع الحيوان كالدب والنمر والاسد وغير ذلك وترى فيها النساء راقصات بحمة غريبة ورقاشة عجيبة فاتمنى لك ايها الصديق الحصول على الوقت الكافي والزمن الوافي لتزور هذه البلاد وتشاهد ما فيها من العجائب

— اني اودُّ ذلك كثيرًا ولكن دونهُ مصاعب يلقيها في سبيلي مولاي فانه يقتضي هذه الرحلة في الانتقال من الخطوط الحديدية الى السفن التجارية ومن هذه الى تلك بحجة الطواف حول الارض في ثمانين يومًا ويطلي على الناس المحال بخلاف ما ينشف عن ذات الصدور فاؤمل ان ينتهي هذا الدور في رواية مولاي ويكون ختامه في مدينة بومباي

— وكيف حال صحته

— غاية في الاعتدال وهكذا صحتي ايضًا فاني آكل كثيرًا وما ذلك الامن جودة هواء البحر

الا يصعد مولاك الى ظهر السفينة

— لا

— فربما كان يا باسبورتو موفدًا بمهمة سياسية ويروم ان يخفيها وراء حجاب هذه الحجة

لا علم لي بشيءٍ من ذلك

وما اكفهرَّ وجه النهار ومالت الشمس الى الغروب حتى اجازت السفينة باب المندب ورست رابع عشر الشهر في مياه عدن المعدة محطًا للسفن السائرة الى الهند لتدخر منها ما يلزمها من الفحم الحجري والمؤنة فاستقرت فيها اربع ساعات خرج المستر فوج وخادمه في خلالها الى البر وتوجها الى دار الحكومة لتسجيل التذكرة

وقد انطلق فيكس في اثرها وتتبع حركات فيلاس الى ان عاد الى السفينة التي بقي عليها ان تسير مسافة الف وستمائة وخمسين ميلًا لتبلغ بومباي وبعودته اليها استأنف تمضية الوقت بلعب الويست

اما باسارتو فقد بقي في المدينة يتنقل في ضواحيها تنقل الافياء ويبعر بين اهلها نفور الظبى ويخطر خطرات الغيد يرعي بعينيه وجوه سكانها المؤلفين

من صومانليين ومارسيسيين واسرائليين وعرب وافرنج ويتفرج على حصون المدينة ومعاقلها المنيعة وقلاعها الحصينة ويتأمل موقعها الحربي القائم بمثابة جبل طارق لبحر الهند وصهاريجها التي يشتغل فيها المهندسون الانكليز بعد مهندسي سليمان بالوف عام

وبعد ان متع النظر من كل تلك المشاهد عاد الى السفينة مندهشاً مما رآه رأي العين خاطاً على صفحات لبه ان في الاسفار نفعاً عظيماً ٠

وفي نحو الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم خرجت الباخرة من مياه عدن متممة سيرها الى بومباي وكان البحر هادئاً والريح ملائمة لسير السفينة من الجهة الشمالية الغربية وصواريها مرتفعة في الفضاء تكاد تشق كبد الجو فاغتنم الركاب صفاء الوقت وعادوا الى تجديد عزف الموسيقى والرقص بما لذ لهم وكان لديهم لهواً مستطاباً وكان پاسبورتو يقتل الاوقات مع صديقه فيكس بتبادل القصص والحكايات والتنقل في الحديث من القديم الى الحديث ودام الامر كذلك الى ان اشرفت الباخرة في ظهر العشرين من شهر اوكتوبر على مدينة بومباي فخف الركاب يهنئون بعضهم بعضاً بسلامة الوصول وعلائم السرور تعلو وجوههم وبعد مضي ساعتين طوى ملاحو السفينة شراعها وتوارت عن الانظار بين غضاضة شجر النخل الكثيف الحاجب المدينة عن العيان ثم دخلت بوغاز جزيرة صالصيت وجولانه واليفانته وبوتشرو وفي الساعة الرابعة ونصف اقبلت على بومباي فتقدم فيلاس فوج الى رفيقه الذي قضى معه معظم اوقات السفر في لعب الويست وحياه تحية الفراق الى حين التلاق ٠

وقد كان وصول السفينة الى بومباي في ٢٠ اوكتوبر بدلاً من ٢٢ منه فيكون المستر فيلاس فوج قد اكتسب من مبد قيامه من لوندره يومين من زمن الرحلة رقمها في دفتر سياحته بحقل الارباح

الفصل العاشر
كيف ان باسبارتو اضاع
حذيه وولى الفرار

فان قصدتك الحادثات بسوءها
فوسع لها درع التجلد والصبر

كل يعلم ان ارض الهند مثلثة الشكل تمتد من الشمال وتنتهي في الجنوب وان مساحتها تبلغ ١٤٠٠٠٠٠ من الاميال المربعة وتحتوي من السكان على مائة وثمانين مليوناً وان العلم الانكليزي يخفق فوق اكثر مقاطعاتها التي يتولى امورها حكمدار انكليزي يستقر في كلكوتا وتحت ادارته مديرون من الانكليز في بومباي وبنغال ومدراس وقائمقام في مدينة اجره

فالمستعمرات الانكليزية في الهند تبلغ مساحتها سبعمائة الف ميل مربع وتأهل من السكان نحواً من مائة الى مائة وعشرة ملايين اما بقية البلاد الهندية فتنقسم الى امارات قائمة برأسها لم يزل قاطنوها في عالم الهمجية والخشونة

وكان قد تألف في الهند عصابة من الوطنيين ضمت اقاليم عديدة الى حوزتها واتباعت بعض مقاطعات من امرائها بدفع خراجها السنوي اليهم الا انها لم تكن تدفع الاّ القليل وفي كثير من الاحيان كانت تستغرق المال ولا تدفع منهُ شيئاً وقد عينت تلك العصابة للبلاد التي امتلكتها حكاماً عسكريين وامراء ملكيين وبثت نفوذها وامتدت في احتكار الاراضي امتداد النار في الضرام منذ عام ١٧٥٦ (وهو العام الذي وضع فيه اساس البناء الانكليزي الاول في البقعة القائمة فيها الان مدينة مدراس) حتى السنة التى شبت فيها نيران الثورة السيبايسية فتشتت شمل تلك العصابة ونزعت منها السلطة وأُخذت منها الاراضي التي كانت قد امتلكتها بشروى نقير ومنذ ذاك تقدمت البلاد في المدنية ونشطت من عقال الذل والهوان وتوفرت في مياهها السفن التجارية ومدت فيها السكك الحديدية وتفرّعت منها خطوط جمة وامست المسافة الكائنة بين بومباي وكلكوتا تقطع في مدى ثلثة ايام فكفى الناس ذلك مزيد العناء بما نشاء عنه من سهولة اسباب النقل

فانهم فيما سلف كانوا يسخرون الجبول والبغال والمركبات وظهور الناس لنقل البضائع

اما الخط الحديدي الكائن بين بومباي وكلكوتا فلا يتصل بالخط الطويل الذي يكتنف الهند ثم ان المسافة التي تقطعها السكة الحديدية بين المدينتين بسرعة متوسطة فلا تزيد على الف او الف ومائة ميل اي عبارة عن ثلاثة ايام متوالية وقد اضيف الى هذه المسافة نحو ثلث هذه الاميال في الاول بالنظر الى اتصال الخط المذكور بخط الله اباد الممتد في الجهة الشمالية من شبه الجزيرة واليك لمع من بيان اتصال الخطوط الحديدية بعضها في الاقطار الهندية

يبتدئ الخط من مدينة بومباي مارًّا بصالسيت وطانه الى سلسلة جبال جاتس العربية ومنها يمتد في الجهة الشمالية الشرقية الى بورهامبورغ الى ان يجاور الاراضي المنفصلة عن بندلكيند ومن هناك يمتد الى الله اباد ويتحول نحو الشرق فيمر بكنج الواقعة بالقرب من بنارس ثم ينحدر من الجهة الجنوبية الشرقية الى بور ديغان ثم الى المدينة الفرنسوية المعروفة باسم شارديرناجور ومنها يمتد الى كلكوتا

وكان خروج المستر فوج وخادمه وبقية الركاب الى مدينة بومباي في نحو الساعة الرابعة ونصف بعد الظهر. وكان الاحدر بهذا الرجل ان يطوف شوارع المدينة شأن السائح في الارض ويتفقد معاقلها وطلولها ويزور فيها الاماكن الشهيرة ويشهد المنظر المدهشة الغريبة كالفدق العظيم المتقن البناء الفسيح الجوانب الوطيد الاركان والمكتبة التي تحتوي على انفع المؤلفات المسوحة باقلام اشهر الاساتذة والعلماء والحمامات المختلفة اشكال البناء وحلقة الاقطار والمآذن وكنائس الاسرائيليين وهياكل الارمن ومعبد الصنم ماليبارهيل القائم على برجين عظيمين في اربع زوايا مزينة بالنقوش والرسوم الجميلة وآثار اليفانته. كما فيتها وسراديبها السرية المحفورة في باطن الارض في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة بالقرب من الميناء وكهوف كانهيري الموجودة في جزيرة

صالسبت ــ قلنا ولو رار تلك الاماكن وتأمل مشاهدها لدهشت عنه اشجار السعر وغموم الاعتراب وطابت نفسه بما استعاد وقرّت عينه بمـا رأى . على انه لم يسلك هذا السبيل اذ لم ان مال الخاطر عنه وحالما حرج الى اليابسة امر حادمـة شراء بعض اللوازم واوصاه بالحضور الى محطة السكة الحديدية فى الساعة الثامنة ثم سار الهويناء يتقل القدم بخطوات معتدلة متجهاً نحو مكتب التصلية وبعد ان سجل تذكرة سعره عاد الى المحطة ودخل قاعة الطعام فدت له المائدة وكان عليها ارنب لم يحلُ لذوقه طعمه واستدعى صاحب الفندق فسأله وعيناه تتفرسان فيـه

ا أرنبٌ ما قدمت لي

نعم يا حضرة الميلورد

الم يموء عندما ذبح

نعم مآء ياسيدي الميلورد ويمين الله انه ارنب

لا تحلف اليمين المعظمة بل تذكر ان اهل الهند كانوا منذ عامين يعتقدون ان الهرّ حيوان مقدس ولعله اليوم اصبح مخصصاً للسواح

قال هذا وطفق يأكل

ثم انه بعد ان خرج المستر فوج الى البر ببضع دقائق خرج فيكس وراءهُ كما تقدم لنا الكلام وانطلق توّاً الى مركز رئيس الشرطة في بومباي وعرّفه نفسه وجعله على علم بمأموريته واخبره بوجود اللص فيلاس في ثغر بومباي ثم سأله عما اذا كان ورد اليه امرٌ من لوندره بالقاء القبض عليه فاجابه سلبًا وعند ذلك اعتمد فيكس رأسـه بيديه واخذ يخبط في اودية الافكار خبط عشواء لا يدري ماذا يفعل ثم طلب من رئيس الشرطة ان يدفع اليه كتابةً تأمرهُ بالقاء القبض عليه فأبى ان يجيبه الى ذلك بقوله

ــ ان هذا الامر ليس من متعلقاتي بل من متعلقات الادارة العمومية

فاقتنع فيكس بهذا الجواب وآلى على نفسه ان يستمر على مراقبة فيلاس فوج لئلا تملص من بين يديه ويزيغ

عن نصره في المدة التي يقضيها في بومباي وان يظلَّ سالكاً هذا الطريق الى ان يرد اليه امرٌ باتمام القبض عليه ولم يكن يعلم ان فوج سيبارح بومباي عاجلاً بعد مضي بضع ساعات

اما باسارتو فبعد ان تلقى الاوامر اللازمة من مولاه تيقن ان اجل السياحة لا ينقضي في بومباي بل ربما انتهى في كلكوتا او في سواها ثم طفق يسال نفسه عما اذا كان للرهان الذي عقده مولاه صحة ما ام لا وعما اذا كانت التقادير تقوده الى اتمام الطواف حول الارض وهو في غنىً عنه

وبعد ان اشترى بعض قمصان وجوارب من سوق الباعة طفق يطوف شوارع المدينة الى وقع نظره عن بعدٍ على احدى الفسحات فرأى فيها ازدحاماً غريباً فساق القدم الى حيث الجماهير المجمهرة يستجلي حقيقة الخبر فرأى اناساً مختلفي الشيع والاجناس فمن اعجام بقلانس طويلة وبانيانيين بعمائم مستديرة وسنديين بقبع مربعة وارمن باردية طويلة وبارسيسيين بتيجان سوداء وفي وسطهم نسوة هنديات مترديات بقمصان حمراء مسترسلة الى الاقدام وموشاة بالخيوط الذهبية والفضية · ورآهن يخطرن بقدودهن الهيف ويتمايلن تمايل الاغصان والحاظهن تفتك بالقلوب فتك السيوف بالاعناق تبدي كل منهن تيهاً ودلالاً

محجة نقوامها فاتنة بجمالها

فاذا مشت مرَّ النسيم بعطفها

فيكاد يلويهِ لفرطِ اللينِ

وكان ذلك اليوم عيد طائفة البارسيسيين عيداً سعيداً تحتفل به سنوياً وتشترك معها فيه بقية الطوائف اما هذه الطائفة فهي الطائفة المشهورة بالصناعة والتجارة والثروة والتمدن زيادةً عما سواها من الطوائف الهندية

وبعد ان قضى باسارتو مدةً في تلك الحفلة مستسلماً للدهشة والاندهال لا يبدي اشارةً ولا ينطق بكلمة سار نحو المحطة فمر في طريقهِ بباية مزينة بما يعجز عن وصفه لسان الواصف فسولت له نفسه الدخول اليها ليرى اتقانها البديع وزخارفها التي تأخذ بمجامع الالباب وكانت تلك الباية معبداً للصنم

ماليبارهيل الا انه كان يجهل تماماً عادات البلاد وقوانين المعابد في تلك الديار ولا سيما معابد الاصنام منها فانه لم يكن مباحاً لاحدٍ من المسيحيين ان يدخل اليها اما الوثنيون فكانوا يلجونها بحشمةٍ ووقار حفاة مكشوفي الرأس وكانت الحكومة الانكليزية تحترم عادات كل طائفةٍ وتعاقب من يخرق حرمتها عقاباً شديداً ·

وكان باسارتو جاهلاً لهذه العادات بالنظر الى كونه غريباً لا يعرف طريقة الدخول الى معابد الاوثان فولج باب الهيكل السالف ذكره بدون ان يخلع خفيه او يرفع قبعتهُ فتقدم حتى وسط الهيكل فرآهُ ثلاثة كهنة من خدمة الاصنام على هذه الحالة فاحتدموا عليه غيظاً وتمزقوا غيظاً ثم وثبوا عليه وثبة الاسود وخلعوا الحذاء من قدميهِ وانحوه جراحاً اما هو فلست يغالب الالم حتى علة فثارت في راسه حمية الفرنسيس واستعان على اولئك الكهنة بمدد الله فاخذ يلطمهم بكفيه ويرفسهم برجليه وبينما كان مشتبكاً معهم سقط منهم اثنان على الارض عاثرين باذيال ارديتهما فانتهز اذ ذاك باسارتو الفرصة وخرج من باب المعبد فتبعهُ الكاهن الثالث يثير عليه الناس وهو مجدٌّ في السير الى ان بلغ المحطة قبل قيام القطار بخمس دقائق فدخلها مكشوف الراس حافي الرجلين فاقد الامتعة التي كان مولاهُ قد اوصاه بشرائها ثم اخذ يحملق في الجموع حتى راى مولاه فشكا اليه الحال بلسانٍ كأنه تذكر قول من قال ·

بكيت من الدهر مستضحكاً
وشرُّ البلية ما يضحك

ثم قص عليه الحادث وما وقع له مع كهنة معبد الصنم ماليبارهيل فقال له مولاه اؤمل ان لا يقع لك بعد مثل هذا الحادث ثم ركبا القطار وسارا الى حيث يقصدان

اما فيكس فكان قد علم ان المسيو فوج مسافر من بومباي فاتى المحطة ليقتفي اثره فسمع بما حدث لباسارتو عندما كان يقص الخبر على مولاه

وبعد برهة يسيرة من الزمان ازف وقت قيام القطار فخرج من المحطة يسير

طيرًا بلا جناح الى ان توارى عن الانصار يشق في ذلك الليل الحالك قلب الظلام

الفصل الحادي عشر
في ان فيلاس فوج اشترى مطية باغلى الاثمان

سار القطار في ميعاد سفره المعتاد وعليه عدد ليس بقليل من الركاب معظمهم موظفون ملكيون والبعض الآخر من تجار العظم والاهيون يقصدون الجهة الشرقية من شبه الجزيرة حيث لبضاعتهم رواج . وكان باسارتو قد ركب العربة التي ركبها مولاه وقبالة الاثنين رجل ثالث عرفه المستر فوج في الباخرة مونجوليه عند مرورها بترعة السويس وقضى معهُ اوقاتًا كثيرة بلعب الويست وهذا الرجل كان طويل القامة اشقر الشعر يجاور الخمسين عامًا يدعى السير فرنسيس كرومارتي ويعرف بقائد الحملة العسكرية في الهند . وكان لاحقًا بالجيش المعسكر بالقرب من بنارس وله الايادي البيضاء في اطفاء ثورة السبايس التي نشب من اجلها عند الهنود بصادق الوطنية وقد قطن الهند منذ نعومة اظفاره وله الخبرة التامة باحوالها والعلم الكافي بعادات اهلها ومشاربهم ولو خطر للمستر فوج ان يستعلم منهُ عنها لما بخل عليه بالشرح المسهب والتفصيل المطول ولكنا عرفنا فوج واحواله وكيف انه يدور حول الارض كدوران جرم عظيم من الكواكب السيارة حول الكرة الارضية على مقتضى النواميس الفلكية وعرفه ايضًا السير فرنسيس كرومارتي من يوم ابصره جالسًا يلهو بلعب الويست والورق بين انامله فتعجب من جمود دمه وغرابة اخلاقه وعدم تأثره من مفاعيل الطبيعة ومناظر الوجود

ولم يكتم فيلاس فوج عن السير فرنسيس كرومارتي موضوع رحلته وطوافه حول البسيطة ولا الشروط التي عقدها والمدة التي حددها لاتمام هذه الرحلة وذلك ليكون على بينةٍ من الاسباب التي دعته الى التعجيل في السفر والاسراع في المسير

وما قطع القطار مسافة ساعتين

حتى عبر الجسر ماراً بجزيرة صاصيت يطوي البيد طياً واستمر سائراً الى ان بلغ محطة كاليان فتحول عن الجهة اليمنى تاركاً فرع الخط الواقع عند كاندالله وبوباح وساق في وجهة الهند الجنوبية الشرقية وسار الى ان وقف في محطة باويل ومنها انطلق بين اشجار ملتفة وارفة الظل في لحف سلسلة جبال كثيرة التشعب من الجهة الغربية شاهقة الارتفاع تكاد تنطح السماك تنقذف من وسطها حمم البراكين النارية وفي اثناء السير كان المستر فوج والسير كرومارتي يتناوبان قص الاحاديث والاخبار فقال السير كرومارتي لفيلاس

لو عزمت على هذه الرحلة قبل الان ببضع سنين لقيت عوائق وموانع حائلة دونها

ــ ولماذا

ــ لان الخط الحديدي كان يصل الى لحف هذه الجبال فقط فكان الناس لذلك يضطرون الى اجتيازها على الهوادج او على ظهور الخيل حتى محطة كاندالله الكائنة على منحدر الهضبة المقابلة

ــ قد اتخذت الوسائل اللازمة لاجتناب ما عساه ان يحول من العوائق دون مواعيد رحلتي .

لو اتصل بالحكومة امر تجرؤ خادمك على احتراق حرمة الاديان بدخوله الى معبد الاوثان في مدينة بومباي لكان لك ذلك من اعظم العوائق فان الدخول الى معابد الوثنيين محظوراً على اي كان من المسيحيين فلو علمت الحكومة بما كان من خادمك لحرت عليه وانالته ما يستحق من العقاب .

اصبت ولكن ذلك لا يعني من اتمام السير فانه لو وقع في قبضة الحكومة لنال جزاءهُ وقضى مدة العقاب وعاد بعد ذلك الى اوربا ناعم البال لا خوف عليه ولا هو يحزن فاكون انا قد اتبعت طريقي وما عاقني شأن خادمي

وهنا انقطع عن الكلام ولزم كل منهما السكوت وكان باسبارتو نائماً اثناء الحديث فما علم بما تحدث الرحلان في شأنه وهكذا انقضى الليل وما انبلج الصبح حتى كان القطار قد عبر جبال جاتس

ومرّ ماحيك وتوغل في اراضي كانديش
المخصبة التي تتدفق من حولها جداول
وانهـــار تسقي مزروعاتها وتروي ظمأ
نباتهـا ·

وعند الصباح استيقظ باسبارتو
من رقاده ونظر الى ما حولــه فحار منه
الفكر وتاه منه الرشد اذ ظن نفسه في
منام وحسب ان ما يراه ان هو الا اضغاث
احلام وقد كان قبل ذلك غير موقن
انه سيركب البخار ويشق به ارض الهنود
وفي الواقع ان المنظر كان داعيًا الى
الدهشة باعثًا على الاستغراب

ثم التفت باسبارتو فرأى امام الآلة
البخارية مهندسًا انكليزيًا حاملاً بيده
ابريقًا مملوءًا زيتًا يصب منه من وقتٍ
الى آخر بعض قطرات على ادوات الآلة
التي كان يتصاعد منها دخان كثيف
شديد السواد فمرّ بمزروعات القطن والبن
والقرنفل والفلفل الاحمر وجوز الطيب
ويكتنف اشجار النخل التي نبت في
جذورها العشب الاخضر ويقوم بين
بعضها آثار من بقايا اديرة قديمة العهد
ومعابد للاصنام يدهش مشهدها الانظار
مما يدل على حسن هندستها واتقان بنائها
وفي الجملة ان العيون لا تبصر في تلك
القفار سوى حقول واسعة واراضٍ
شاسعة وجبال شاهقة تزحف فيها الاراقم
الهائلة وتسرح فيها الضباع الكاسرة وتمرح
على اديمها الافيال

وفي ذلك الصباح مرّ القطار بخطة
ماليجرم وما بعدها من الاراضي المشؤومة
التي كثيرًا ما خضبتهـا بالدماء ايدي
عبدة الالهة ومرّ ايضًا بمعابد الالهة ايلورة
ثم مدينة اورونكاباد عاصمة الملك البربري
اوربج ديب التي باتت اليوم مركز احدى
المديريات التابعة لولاية الملك نيزام وكان
قد استبدّ فيهـا باحكامه ملك عصبة
الشنق المسمى موربجيه

وكانت هذه العصبة تقضي بالشنق
على من رأت بموته سبيلاً الى مرضاة
الالهة حتى ضاقت الارض بالجثث
البالية وقد عجزت الحكومة الانكليزية
عن تدارك الامر بالرغم مما صرفت اليه
العزم من تشتيت تلك العصبة الشنقية
التي لم تزل لها بقية قائمة في تلك الاقطار
الى هذا اليوم

وعند الظهر وقف القطار في محطة بورهامبور حيث ابتاع باسبارتو حذاء مرصعاً باللؤلؤ الزيف فانتعله والعجب يلعب بعطفيه وحيث تداول المسافرون الطعام بما امكن من السرعة وعادوا الى القطار الذي سار بهم بعد ذلك الى محطة اسورجير بعد ان مرّ محاذياً شاطئ تاستي الذي يصب في خليج كامباي بالقرب من سيرات

قال جول . واني ارى من الصواب ان اقف بالقارئ قليلاً لاطلعهُ على ما كان يتلاعب في رأس باسبارتو من الافكار والتصورات فانهُ كان يظن في بادئ الامر ان رحلة سيده تنتهي في بومباي فلما تجاوزها وتوغل في قلب البلاد الهندية رجح لديه انطباق الرحلة على مشروعها الذي تقرر في لندرة بعقد الرهان وتحديد ما حدد لها من الزمان فحار في الامر واضطرب واستولت عليه عوامل القلق ثم اخذ يشعر بعاملين احدهما يدفعه الى اكتساب الرهن والثاني يحذره من الفشل فيطرق في الارض مفكراً متأملاً علهُ يهتدي الى طريقة يتحاشى بها العوائق غير المنتظرة والموانع التي تطرأ على غير ما يرام فتبعث السائح على تمني ان يكون له جناحان يأمن بهما غوائل التأخر في المسير

لسرب القطا هل من يعير جناحهُ
لعلي الى ما قد هويت اطيرُ

وكان بين التردد والاستسلام الى هذه الافكار بحسب ما مضى على الرحلة من الايام ثم ينتقل من العد والاحصاء الى التذمر من ابطاء القطار في المسير مع انهُ كان سائراً سير البرق وبين هذا وذاك يعود الى لوم مولاه لانهُ لم يعد مهندس القطار بجائزة كما وعد مهندس الباخرة موبحوليه وكان يرميه بهذا اللوم وهو لا يعلم ان للقطارات سرعة قانونية بخلاف السفن البحارية

وعند المساء بلغ القطار مضيق جبال ستبور العامة بين اراضي كنديش واراضي بنديلكند فسار في تلك الجهة مدة الليل بطوله الى ان انبلج الصبح وحلت الساعة الثامنة من صباح ٢٢ اوكتوبر فوقف بعد ان جاوز محطة روتال بخمسة عشر ميلاً في وسط بقعة خالية من الاشجار واعلن

سائق القطار ان ذلك الموقف محط لنزول الركاب

فالتفت المستر فوج الى السير كرومارتي فرأى على وجهه علائم الارتباك اثر وقوف القطار في وسط قفار ينبت فيها الحمر (التمر الهندي) والكافور ثم احال نظره نحو باسبارتو فرآه ينفر من القطار ثم سمعهُ يصرخ بتعجب وانذهال : ان القضيب الحديدي ينتهي هنا فاستعاد كرومارتي كلامه فكرر قوله فأسف ان الخط الحديدي ينتهي هنا فحينئذٍ نزل كرومارتي وفيلاس فوج الى الارض وتقدما الى سائق القطار فسألاه

— اين نحن

— في كلمركولي

— أهنا ينتهي سير القطار

— نعم لانهُ يبقى مسافة خمسين ميلاً ليتصل هذا الخط بخط الله اباد

— ولماذا اعلنت الجرائد باتصال الخطين

— بدا ذلك عن سهوٍ منها وعدم انتباه

— ولماذا اعطيت الركاب تذاكر الى كلكوتا

— لاني اعهد انهم على علمٍ بانقطاع الخط هنا

وكان السير كرومارتي يحتدم في كلامه غضباً وباسبارتو يكاد ان يتميز من الغيظ وكان بوده ان يفتك به لولا خوفه من مولاه الذي التفت الى السير كرومارتي قائلاً لهُ

— يجب ان نطرد المسير الى الله اباد باي الوسائل

— ولكن ما العمل يا مستر فوج بهذا الاعتياق الذي يضر برحلتك

— ما كنت على جهلٍ بهِ

— فاذاً كنت عالماً بانقطاع الخط

— لا ولكني كنت على شعورٍ باني سألقى اثناء رحلتي عائقاً غير منتظر عاجلاً او آجلاً وقد تداركت الامر فحملت مهندس الباخرة مونغوليه على التعجيل والاسراع في المسير بغية الوصول الى بومباي قبل ميعاد الوصول الاعتيادي ووعدته بجائزة من النقود وهكذا كان وصولنا قبل الميعاد بيومين واظن اننا حاصلين على الزمن الكافي لان نصل

الى كلكوتا في ٢٥ اوكتوبر الذي تسافر فيه سفينة تجارية الى كون كون

وكان بعد وقوف القطار في تلك النقطة ان نزل منهُ الركاب وشرعوا في استكراء المطايا والمركبات حتى انهُ لم يبقَ منها للسير كرومارتي والمستر فوج ما يسيران عليهِ فطلبا عربةً فما وجدا واذ ذاك قال فوج اني اسير على قدمي فشق الامر على باسبارتو خوفًا على حذائهِ الجديد ثم انهُ بعد ان فكر قليلاً قال لمولاه انهُ يوجد مطية للسفر

فقال لهُ فيلاس

— واين هي

— في محلٍ لا يبعد من هنا سوى بضع خطوات

— هلمَّ بنا يا حضرة السير كرومارتي لنتحقق الخبر

فانطلق الثلاثة في الحال وبعد مضي خمس دقائق من الزمان وصلوا الى كوخ يلاصق حوشًا فيه فيل وفي الكوخ رجل هندي فلما رآهم اقبل عليهم فاستقبلهم وادخلهم الى الحوش حيث كان الفيل فرأوا فيلاً اليفًا يدعى كيوني عني صاحبه بتربيته وتعليمه بغية ان يستخدمه في القتال لا في نقل البضائع والركاب وكان معينًا لهُ ثلثة شهور من السنة يغذيه فيها بالسمن والسكر اعتقادًا ان هذا الغذاء يزيل من الحيوان النفرة

اما جنس الفيل في الهند فنادر الوجود وخصوصًا الذكور منهُ التي كان الهنود يستخدمونها في مضمار الصراع وساحات القتال وصيد الافيال وغيرها من وحوش الغاب فلا عجب لذلك اذا بلغ امر الاعتناء بها في الهند كل مبلغ فان الافيال قليلة التناسل ولاتاتي بنتاج الا بعد ان تألف

ولقد سأل فيلاس فوج صاحب الفيل ان يكريه اياه فابى فعرض عليه ان يدفع لهُ عشر ليرات عن كل ساعة فرفض فقدم لهُ عشرين فامتنع ثم اربعين فلم يقبل واصرَّ على الاباء ثم طلب ان يشتريه فسخر به فقدم لهُ الف ليرة ثمنًا لهُ فاعرض عنه ثم الفًا ومائتين فنظر اليهِ شذرًا ثم الفًا وخمسمائة وبعدها الفًا وثمانمائة ثم الفين وهنا قبل الهندي فنقده فيلاس الثمن في الحال من سفاتج البنوكة واخذ فوج

الفيل وانقلب عنه يطلب مرشداً يهديه الى الطريق فتقدم اليه شاب وعرض نفسه لخدمته فقبله بالترحيب ووعده باجرة وافرة فسر الشاب وللحال عمد الى الفيل فاخرجه من مربضه ووضع على ظهره لبادة وجعل على جانبيه شيئاً اشبه بالخرج مركب على احد الجانبين السير فرنسيس كرومارتي وعلى الجانب الاخر المستر فيلاس فوج اما باسارتو فركب فوق اللبادة واما المرشد فاعتلى رقبة الفيل

وبعد ان اذخروا مؤنتهم من ماكلٍ ومشربٍ انطلق بهم الفيل في الساعة التاسعة من ذلك اليوم متخذاً اقرب طريق من الطرق المؤدية الى المحل المقصود سائراً في وسط غابة من غابات شجر النخل

الفصل الثاني عشر

في ان فيلاس فوج ورفاقه قاسوا الاهوال في قفار الهند

وسلك المرشد في طريقه اقرب مسلك على ما تقدم بيانه فسار في غير الطريق المألوف سائقاً في عرض الصحراء تاركاً عن يمينه تخطيط السكة الحديدية المشروع في مدها زاعماً انه يسلك طريقاً قريباً تنقص عن سواها مسافة عشرين ميلاً ولكونه من اهل البلاد ومن ادرى الناس بمسالك تلك القفار القى فيلاس اليه مقاليد الامر رغبة ان يكفيه مؤونة العناء بالسير في طريقٍ وعرة صعبة المسالك بسبب كثافة اشجار جبل فينديا حيث رسمت طريق السكة الحديدية

وبعد ان استوى الركاب على ظهر الفيل سار الحيوان بهم خبباً ثم رميلاً يطوي البيد في تلك الاراضي المقفرة متهدجاً في المسير متعصاً حتى اعيى من عليه بما نالهم من عناء الارتجاج ولكنهم تماسكوا وتجلدوا ما استطاعوا حتى صعرت انفسهم وكادت تشرف على الزهوق وتولاهم اليأس وتملكهم الخوف وكان باسارتو يندفع من شدة الارتعاش تارةً نحو رقبة الفيل وطوراً ينطرح على كفله حتى كادت امعاؤه تتقطع واحشاؤه تتمزق وهو صابر على ذلك صبر كريم على مضض الايام يغالب مرارة الالم بالهزل والضحك ويداعب الحيوان تمضيةً للوقت بالقاء

قطع من السكر في فمه فيتناولها بخرطومه غير منقطع عن السير ركضاً وعدواً

وبعد مسير ساعتين اوقف السائق المسير مدة نصف ساعة استراح فيها الفيل من التعب واجال نظره في الارض فابتلع ما وجده عليها من الحشيش وانواع النبات ثم ورد الماء فشرب حتى اروى ظماءه وقد طلب ركابه الراحة ايضاً فنزلوا عن ظهره وقد ابدى السير كرومارتي تعجبه من نزول المستر فوج عن ظهر الفيل نزوله عن سريره فقال

أمن حديد هذا الرجل

فاجابه باسارتو

نعم انه مخلوق من حديد

قال هذا واخذ يهتم بتهيئة الطعام

وبعد الظهر استأنف الفيل المسير في الصحارى الواسعة التي ينبت في بعض جهاتها شجيرات من الخُمَّر والنخل وفي البعض الآخر القرطب والشوك ٠ وهي قسم من اراضي بيدلكاند العلياء التي قلّ ان تطأها اقدام السواح خوفاً من همجية سكانها وحشونتهم وتعصب اهلها الذين كانوا يقومون اثناء الاحتفال براسيم ادیانهم باعمال لا تفي لفظة • وحشية • بحاجة التعبير عنها لان الوحوش لا تجسر على الاتيان بها ولم يكن للحكومة الانكليزية ان تبث بين اولئك السقاط الاجلاف روح التهذيب والتمدن بالنظر الى انقيادهم لاوامر روسائهم انقياد العميان ٠ وقد وقع منهم اثناء مرور فوج ورفاقه بارضهم انهم تجمعوا عليهم واندفعوا في الطريق امامهم ينظرون الى الفيل شذراً ويبدون عدواناً وكان السائق يتجنب اذاهم وشرهم بالحيلة والمكر حتى توارى عنهم

وقلما وجد في الطريق اثناء مرورهم حيوانات غير بعض قرود كانوا يولون الادبار بعوج والتواء مما كان يضحك باسارتو ويذهب عنه الم المسير

وكان يتنازع هذا الفتى عدة عوامل احدها شأن الفيل وما سيؤول اليه امره اليه عند وصولهم الى محطة الله اباد فكان يقول اذا افترضت وقاده مولاي حتى ينتهي به الى مقره تمثلت امامه وفرة النفقات فيعدل عن استصحابه في الرحلة وكان بين هذا الافتراض وغيره يعود الى التساؤل عما اذا كان من الحكمة اطلاق الحرية

الحيوان ليسير ايان شاء ثم يدفعه الطمع الى امل ان مولاه يهديه اليه فيجار في امره ويرتبك في شأنه ــ وكانت كل هذه الافكار تمر برأسه مرّ الخيال آخذة بمجامع قلبه ولبه واستمرّ كذلك الى ان قطعوا حال فيدياس فانحدروا منحدرها التملي نحط الرجال ازاء كوخ مخرّب وكان الوقت اذ ذاك بالغاً حد الساعة الثامنة من الليل · وبالنظر الى ما كان في تلك الليلة من البرد القارس التجأوا الى الكوخ فاوقد لهم السائق فيه ناراً اصطلوها وتناولوا الطعام ما كانوا قد ادخروه في كالبي وما تحادثوا لطراف الكلام بعد تناول الطعام حتى تمايلوا بخمرة النوس فرقد السير كرمارتي والمستر فوج ولبث السائق مستبدّ الجفن محافظاً على الفيل النائم وقوفاً متوكئاً على جذع شجرة ولم يكن يكدر سكون الليل سوى زئير النمر والفهد وإهاف القرود ولما برع الصباح حمد القوم السرى وجدّوا في المسير في الساعة السادسة يجتازون ما بقي عليهم من اراضي حال فيدياس معللين النفس بلوغ محطة الله اباد عند المساء فانهم كانوا قد

اجتازوا نصف مسافة الطريق ولم يبقَ عليهم سوى مسافة خمسة وعشرين ميلاً

واستمر الدليل الهندي سائراً مطية فوج ورفيقيه في قلب القفار سالكاً آمن المسالك متحاشياً ان يمر بالجهات الآهلة بالسكان خشية أن يثور الوطنيون عليهم وليس لديهم ما يدفعون به شرهم الى ان اختار قبل الظهر كعر كالانجير الكائنة عند نهر كاني الذي يصب في نهر الكانج وإذ ذاك اشرف على شاطئ النهر الاعظم الذي يبعد عن محطة الله اباد اثنى عشر ميلاً من الجهة الشمالية الشرقية وهناك اوقف المسير التماس الراحة تحت ظل اشجارٍ من الموز تتدلى منها العناقيد تدليها من الكرم

وقضوا في هذه البقعة مدة ساعتين عادوا بعدها الى المسير فشطّ بهم الفيل من اشجار غضة ينهب الارض نهباً الى ان دنت الساعة الرابعة فوقف مذعوراً فسأل السير كرومارتي السائق ان ينبئه عن احوال الفيل فاجابه انه لا يعلم لذلك سبباً ثم انصت قليلاً فسمع رنة اصوات تمتزج بدوي النسيم وما لبث ان ارتفعت

وتلتها فرقعة بعض آلات نحاسية وكان باسارتو كله آذاناً تسمع وعيوناً تشخص الى مخرج الصوت وفيلاس فوج لا ينطق بكلمة البتة واذ ذاك نزل السائق الى الارض وربط الفيل في جذع شجرة قريبة منه وانطلق يطلب مخرج الصوت فبعد ان غاب قليلاً عاد وهو واقف على حقيقة الخبر فقال لاصحابه ان ما تسمعونه هو احتفال بتشييع جنازة فاذا كان في الامكان فلنتوارَ عن العيان قال هذا وفك رباط الفيل وقاده الى موضع لا تنفذ فيه الابصار ولا تصل اليه رميات الانظار ثم اوعز للمسافرين بالا ينزلوا الى الارض اما هو فوقف بجانب الحيوان مستعداً للفرار اذا دعاه اليه الاضطرار

وبعد هنيهة مر القوم بالجنازة امام موقف المسافرين بجموعها بالانغام واصوات الطبول والصنوج وامامهم طغمة من الكهنة على رؤوسهم التيجان وعلى اجسامهم البرفير والارجوان ومن حولهم رجال ونساء واولاد ينشدون الحان الحزن على اصوات الصنوج ووراءهم مركبة تجرها اربعة افراس من جياد الخيل وعليها تمثال قبيح الصورة ذو اربعة سواعد مصبوغ الجسم بلون احمر مائل الى السواد قليلاً مدلى اللسان زائغ انسان العين مصبوغ الشفتين بالحناء وفي عنقه طوق مصدّر برؤوس الاموات ومن حول وسطه سلسلة اياد مقطوعة وهذا التمثال يعرف بالالهة ((كالي)) الاهة الموت والغرام

وكان وراء هذا التمثال جماعة من طائفة البراهمة يرفلون بافخر الملابس ويقودون بالعنف فتاة لم تزل فيها بعض الرمق وهي من ربات الحسن والجمال ذوات الخفر والدلال

قد كتب الحسن على وجهها
يا اعين الناس قفي وانظري

وكان في يديها واذنيها وعلى عنقها وصدرها وكتفيها من الجواهر الكريمة ما لا تقدر له قيمة وعليها من آثار النعمة وعلى وجهها من ملامح الذكاء ما لا يوصف بلسان . وكانت لابسة ثوباً من الحرير الهندي وخماراً من اللاذ ارق من نسج العنكبوت يلعب الهواء باطرافه ووراءها حرّاس شاكو السلاح متقلدون سيوفاً وبنادق وغدارات وحاملون جثة على

الاكتاف وكانت جثة الشيخ الفقيد الامير
الهندي احد سلاطين القبائل وعلى هامه
عمامة مطررة باللآلئ وفي وسطه حزام
مرصع بالماس وعليه ثوب من الحرير
مزركش بالخيوط الذهبية وكان مقلداً
سيفهُ اشارة الى ما كان عليه في حياته
وفي منتهى الحفلة كان عازفو الموسيقى
يصرخون باصوات قبيحة ويرفعون اصواتهم
بما كان يفوق عزف الموسيقى
وفي خلال الحفلة التفت السير
كرومارتي الى السائق وقال له
هل هذه (سوته) ضحية
فاومى اليه السائق برأسه ثم وضع
بنانه على شفتيه اشارة الى انهُ يريد ان
يلزم الصمت
وبعد ان مرّت الحارة بالجموع
بين تلك الاشجار وغابت عن الانظار
قال المستر فوج للسير كرومارتي
وماذا عنيت بلفظة (سوته)
هي لفظة من لغة الهنود يعبر عنها
في لغتنا بلفظة ضحية والمراد بذلك ان
تلك الفتاة التي رأيناها في تلك الحفلة
هي امرأة الشيخ الفقيد ومن عادات الهنود
انهُ اذا توفي الرجل قبل المرأة يحرقون
زوجتهُ معه فهذه الفتاة التي رأيناها ستحرق
باكراً عند بزوغ النهار
فقال المستر فوج
وكيف لم تزل هذه العادات الوحشية
مرعية الاجراء الى هذا اليوم والانكليز
ينشرون التمدن تحت سماء الهند ويدافعون
عن الانسانية
لا تزال هذه العادة متبعة مرعية الاجراء
في كثير من جهات الهند حيث لا يخفق
علمنا وحيث ليس لنا سلطة وسلطتنا
لا تمتد الى هذه البقعة حيث نحن الان
فكل هذه الارض التي قطعناها والاماكن
التي سنمر بها انما هي مرسح لمثل هذه المشاهد
فقال باسبارتو متاسفاً
يستدل مما قال حضرة السير ان
هذه الفتاة لا بد انها تذوق العذاب
الوانًا اذا لم تحرق
فاجابه السير كرومارتي
ولا ريب في ذلك وما رأيهُ كمن
سمع واذا لم تحرق عوملت بالقسوة والغلظة
فان شعر راسها يحلق وتغذّى بقليل
من الارز وتنبذ من هيأة الاجتماع نبذ

الحذاء المرقع الى ان تموت ذليلة مهانة فهي
لذلك تفضل الموت على البقاء احيانًا
لشيوع الاغذية والحرمان اسباب الهناء
وقد تكون المرأة لذلك في بعض الاحيان
ضحية صادرة عن تمام الارادة فتضطر
الحكومة الى التداخل في الامر منعًا لحدوثها
وبعد ما كنت منذ بضع سنين في
احدى وظائف الحكومة في بومباي حدث
ان ارملة في سن الصبوة اتت حاكم
المدينة والتمست منه ان يرخص لها في
الاحتراق مع جثة زوجها فرفض الحاكم
طلبها ونهاها عن غيها فلم ترعو ثم خرجت
من المدينة والتجأت الى حمى بعض
السلاطين المستقلين حيث انفذت مرغوبها
وكان سائق الفيل يهز راسه كلما
سرد السير كرومارتي عبارة من قصته وفي
آخر الكلام قال السائق
اما ضحية النارح فليست صادرة
عن ارادة شخصية كما لا يخفى علينا نحن
معشر الهنود فلكانند فان تلك المنكودة الحظ
ذاهبة الى حتفها بالرغم عنها ولا يغرنك
منها انقيادها فانها سكرى بدخان القنب
والافيون ولا تعي الى اين سائرة فهي لذلك
مسوقة كالنعاج الى هيكل الصنم (بيلاجي)
الذي لا يبعد من هنا سوى ميلين لتقضي
فيه سواد الليل وتحرق عند بزوغ
الصباح
قال هذا واخرج الفيل من مربضه
ثم اعتلى رقبته وهم على الرحيل فاوقفه
المستر فوج ووجه الى السير كرومارتي
الخطاب فقال
— ما رأيك في انقاذ هذه الفتاة
— يا للعجب وماذا يهمك امرها
— لديّ من الزمان فرصة اثنتي عشرة
ساعة اودّ استخدامها في الدفاع عن
الانسانية
— لله درك ما انجعك وما انت حالك
— نعم ولكن في بعض الاحيان وعند
امتلاك الزمان

الفصل الثالث عشر

ويومٌ علينا ويومٌ لنا
ويومٌ نساء ويوم نسر

واهتم المستر فوج بانقاذ الفتاة فكان
امرًا شاغلاً له بل كان مشروعًا محفوفًا
بالمصاعب والاهوال يتوعد حياة فيلاس

بالخطر او بوقوعه في اشراك الهوان وتعرضه لقسوة معاملة الهنود فيسومونه خسفًا وحيفًا ويوسعونه ضربًا وطعنًا واذا اتفق وكان من حسن حظه ان يطلقوا سبيله فيكون قد فقد الحيوة المعنوية بفقد فائدة الرحلة وقيمة الرهان . ولكنه مع هذا وذاك لم يتردد في الامر وقد لقي المستر كرومارتي مجدًا والفتى باسبارتو معينًا غير انه حتى خيانة السائق معزم ان يطلب اليه التزام الحيادة اذا ابى ان يأخذ بناصره ويرشده الى الوسائل التي تمكنه من بلوغ الغاية بانقاذ الفتاة

ثم كاشفه السير كرومارتي بما في النية فقال

ـ ثقوا بولائي وحسن وفائي وصدق خدمتي وصفاء نيتي فان من تريدون انقاذها هي من ابناء جلدتي فهي بارسية مثلي لا يهون عليّ هلاكها ظلمًا

وبعد ما سمع من فيلاس هذا الجواب الذي ينشف عن موالاة واخلاص شكر له ما اظهر من الغيرة وصفاء السريرة فقال السائق

ولكن يجب عليكم قبل الشروع في العمل ان تتدبروا الامر فانه اذا وقعنا في قبضة الاعداء فلا شك اننا نعدم الحيوة بعد ان نذوق جميع انواع العذاب فاجابه فيلاس

لا تدبر لك امرًا

فاولوا التدبير هلكى

حقق الامر تجدنا

نحن اولى بك منك

ـ وارى من الملائم ان ننتظر الليل للشروع في العمل

ـ نعم وهذا اوفق وافضل

ثم اخذ يشرح للسترفوج ما يعلم من احوال الفتاة فقال

ـ هي فتاة هندية ولدت في مدينة بومباي ونشئت على كرم الاخلاق وحسن العادات واقتبست التهذيب والآداب من الانكليز حتى فاقت ذوات جنسها من بنات جلدتها فخالها الناس اوربية وهي فائقة الحسن بديعة الجمال بارسية النسب ولها ابوان عيان في بومباي واسمها عائدة ولما بليت بموت والديها زوجها اقاربها بالرغم عنها على هذا الشيخ البندبلكاندي وذلك منذ ثلثة شهور فبالنظر الى ما

علمت من مستقبل حظها ساعة وفاة زوجها ركبت الى الفرار من دار بعلها وشردت تائهة في البراري والقفار ولكن سوء حظها ساق الايدي اليها فقبض عليها وهي الآن كما ترون مسوقة الى العذاب الاليم ولا مفر لها منه ولا مناص

وكان الشاب الهندي يتقد في كلامه شفقةً وغيرة ويلتهب حدةً ويذوب كآبة وغماً ويقلب اوجه الحديث متفنناً في ضروبه متنقلاً في اساليبه بجد فيثير الاشجان ويبرح فيذهب الاحزان فزاد ذلك سامعيه رغبةً في انقاذ تلك الفتاة من شدتها واشاروا الى السائق ان يقودهم الى مكان الضحية وان يدنو بهم من هيكل بيلاجي ويجعلهم بقدر الامكان على مقربة منه فلبى وسار بهم وبعد ان ساروا نحو نصف ساعة وقف عند غابةٍ كثيرة الاشجار تبعد عن الهيكل خمسمائة قدم وتحجب عنهم الانظار وهناك تباحثوا في الوسائل التي تؤدي الى بلوغ المراد وكان السائق يعرف مكان هيكل الصنم حيث حجر على الفتاة فسألوه عما اذا كانوا يقدرون ان يخترقوا الجموع وهم نيام فيلجون ابواب الهيكل او عما اذا كان يمكنهم ان ينقبوا الحائط ويخرجوا الفتاة من الثقب .

وطالت بينهم المداولة من غير ان يقرروا طريقةً ما وانما قرروا وجوب انقاذ الفتاة في الليلة ذاتها قبل بزوغ الصباح فيصعب عليهم اذ ذاك امر انقادها

ولبث المستر فوج ورفاقه ينتظرون اقبال الليل فلما جن الغسق سكنت الضوضاء واخذ جميع الحضور من الهنود في الذهول بالافيون المروج بنقيع القنب حتى امسوا في حالةٍ يسهل معها على اي كان اختراق صفوفهم والدخول الى هيكل صنمهم على حين غفلةٍ منهم فهمّ اذ ذاك الثلاثة المسافرون (وكانت الساعة السادسة من الليل) على اكتشاف موقع الهيكل يتقدمهم السائق وبعد ان ساروا عشر دقائق بلغ بهم الفتى الهندي شاطئ جدولٍ يجري فيه ماء زلال فرأوا على ضوء مشاعل موقدة من حطب الصنوبر كومة احطاب متجمعة كدساً مرتودة بخشب الصندل الثمين مندّاة بزيت مطيّب وفوقها جثة الشيخ الفقيد مدهونة بالطيب معدة للاحراق مع جسد ارملته الحيّة ورأوا

الهيكل على بعد مائة خطوة من الحطب
ثم بارحوا هذه البقعة بهدوٍ وسكينة
والسكوت لا يكدره سوى ميل الهواء
بالاغصان وساروا الى منتهى الغاب
وهناك وقفوا مندهشين منذهلين من
رؤية جمعٍ غفير من رجالٍ ونساء واولاد
سكارى بخمرة البوء مطرحين على الثرى
كأنهم صرعى في ميادين الوغى ومن
حولهم بعض سكارى الافيون وعليهم اشعة
انوار المشاعل وبالقرب منهم هيكل
الصنم بيلاجي تكتنفه الاشجار وعلى ابوابه
الخفراء والحرس متقلدون السيوف ومن
داخله طائفة الكهنة تقيم الشعائر الدينية
ويتلون الصلوات ففي هذه الحالة رأوا
انه يستحيل عليهم الوصول الى الهيكل
فارتدوا الى الوراء عالمين انهم لا يستطيعون
ادراك مبتغاهم ثم وقفوا يتجادلون الآراء
باصوات منخفضة الى ان قال السير
كرومارتي لرفيقيه

— فلننتظر قليلاً هنا في الهجيع
الاول من الليل وفي الساعة الثامنة واذا
تربصنا الى اواسط الليل واستولى الكرى
على جفون الحراس طاب لنا ادراك
الرغائب

وعلى ذلك لبثوا ينتظرون الوقت
المرغوب بالقرب من جذع شجرةٍ وقد
طال عليهم الانتظار وسئموا من الاصطبار
تحت غصون الاشجار والمشاعل موقدة
والحراس مكتحلون بإثمد السهاد والانوار
تبعد اشعتها من منافذ الهيكل وبينما هم
كذلك اذ تركهم السائق وتوجه لاستطلاع
ما في تخوم الغاب

وبعد ان انتظروا حصول الفرصة
الممكنة الى منتصف الليل وكان الحراس
الى ذلك الوقت على حالهم من السهر
والانتباه عمدوا الى اتخاذ طريقة تلائم
الحالة فاتفقوا على حرق حائط الهيكل
ولما عزموا على اجراء الطريقة راعهم شعور
الكهنة القائمين حول جسم المتقدمة فترددوا
في الامر وبعد ان استغرق تحدثهم زمناً
طويلاً اومأ اليهم السائق ان اتبعوني
فساروا وراءه وبعد ان طافوا مدة غير
يسيرة ادت بهم خاتمة المطاف الى حائط
الهيكل بدون ان يصادفهم احد في طريقهم
لانه لم يكن في الطرق التي سلكوها خفراء
او حراس كما انه لم يكن في جهة الهيكل

التي قصدوها منافذ او ابواب

وقد كان الليل وقتئذٍ مظلمًا والظلام حالكًا والقمر قريبًا من الزوال تغشى محياه الغيوم المتلبدة وكان تكاثف الاشجار الشامخة يزيد القتام قتامًا عند الهيكل حيث كان ميلاس ورفيقاه مرتكبين في شأنهم لا يدرون بأي وسيلة يثقبون الحائط وليس لديهم من الادوات ما يستخدمونه في ذلك سوى سكين الجيب ولحسن حظهم كانت جدران الهيكل مبنية من الآجر والخشب فلم تكن لذلك من صعوبة في خرقها فان اول قطعة من الآجر اذا خرجت جرّت الثانية

وما اخذوا في العمل حتى سمعوا صراخًا من داخل الهيكل وآخر تلاه من خارجه فوقفوا مذعورين ثم ارتدوا على اعقابهم خائفين فارين الى الاشجار يطاردون الرعب الى ان هدأ روعهم فعادوا الى استئناف العمل ولكن ابى نكد الطالع ان يحقق امانيهم بانقاذ الفتاة فان الحراس كانوا مكثرين من اسباب التحفظ محيطين بجميع جوانب الهيكل احاطة الهالة بالقمر او الاكمام بالثمر فلما رأى السير كرومارتي من صعوبة الامر ما رأى صعق صعقة الاسف وكاد ناسبارتو يغيب عن الرشد وثارت في فؤاد الفتى الهندي ثورة الاحزان اما ميلاس فوج فلبث ساكن الجنان لا يحرّك ساكنًا فقال له السير كرومارتي

لقد خاب الامل من ادراك الارب وما نحن الان بالمحزون الا في غير صرم فسر بنا نعود الى حيث كنا فقد اقترب النهار

فقال فوج

لا تقنطنّ من رحمة الله

ولربّ نازلةٍ يضيق بها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرجُ

فالصبر مفتاح الفرج والعجلة لا يعقبها الا الندم فلندّرع بدرع الصبر فان الوقت لم يفت علينا ووصولنا الى محطة الله اباد مضمون قبل ظهر الغد

فتعجب كرومارتي من هذا الجواب واخذ يتأمل الامر بعين البصيرة عله يهتدي الى ما عساه ان يحيي مائت الامل في قلب ميلاس فوج ثم قال في نفسه

لم يبقَ الا طريقة واحدة وهي أن يقتحم الصفوف ويستشل تلك الضحية من وسط العذاب

ثم قال

ولكن هيهات ان يفوز بعسه

ومع كل ذلك لم يخالف رويته بل تقدم معهُ نحو الغاب وأقام وإياه تحت الاشجار الغضة يرقبان حركات الجنود النيام

اما باسارتو فانهُ جلس على احدى الاشجار واخذ يتأمل مكرّراً طرأ عليه وهو الوثوب على زمر الجنود وإنقاذ الفتاة من بين ايديهم ثم زحف بعدٌ هنيهة كالافعى على غصون تلك الشجرة المائلة الى الارض وتربص

وكان الظلام لم يزل حالكاً الا انه بدت في كبد السماء علائم اقبال الصباح فقام النيام وضربوا الصنوج والطبول اشارة الى دنو اجل الضحية واحراق تلك الفتاة المنكودة الحظ وحينئذٍ فتحت ابواب الهيكل ولاح من داخله نور ساطع تمكن السير كرومارتي والمستر فوج بواسطته من رؤية تلك الفتاة التي كان يجرها كاهنان الى خارج الهيكل وهي تحاول البقاء فيه فرق لها قلبهما ودنا حظهما وحارا في اي الوسائل يتخذانها لانقاذها

وبعد ما اخرجها الكاهنان طافا بها في وسط الجموع فعاودها الخمول ثانية واستحوذ عليها الجمود من تصاعد دخان القنب في انفها وهي تخترق صفوف الفقهاء الذين كانوا يقابلونها بالبشر والايناس والتسبيح والانغام فاندمج في اخر الصفوف اللاحقة بها المستر فوج ورفيقاه وبعد مسير دقيقتين وصلوا الى شاطئ الجدول فوقفوا على بعد خمسين خطوة من كومة الحطب التي كانت جثة الشيخ المتوفى ملقاة عليها وهناك ظهر لهم جسد الضحية ممدودا بالقرب من جثة زوجها وبجانبها مشعل يضيء وقوم يصبون الزيت على الاحطاب ويشعلونها فلما شاهد فيلاس فوج هذا المنظر المحزن هاج فيه ما كان ساكناً من الحمية فاراد ان يقتحم كومة الحطب فاوقفه السائق والسير كرومارتي وبينا كان يحاول التملص من بين ايديهما اذ سمع صوت مرعب مخيف من فوق كومة الحطب خفقت له القلوب جزعاً وارتعدت منه المفاصل خوفاً فظن الحضور ان الشيخ لم يكن مائتاً وان فيه رمقاً من الحيوة ثم احدقوا بالحطب فرأوا الشيخ يدنو من

امرأته وينهضها بذراعيه وينزل بها من على الاحطاب بين الدخان المتصاعد فسقط كلاهما على الارض مرتجفين فلما نظرها الفقهاء والحمراء اكبوا على وجوههم يعضون الارض ولا يجسرون ان يرفعوا ابصارهم لمشاهدة الاعجوبة

وما زال الشيخ سائرًا والفتاة بين ذراعيه يخرق صفوف الجموع حتى بلغ مكان فيلاس فوج والسير كرومارتي اللذين لبثا على الاقدام والسائق مختبئًا بالقرب منهما فقال لهما بصوت مخصص اتبعاني

ومن هو رجل الاعجوبة هو البطل باسبارتو الذي انتشل تلك الفتاة من مخالب المنون بشجاعته وبسالته وشق الجموع سائرًا بالفتاة غير مبال بامتداد اللهيب او تكاثف الدخان وهو الذي اقترب من مولاه ومن معه وقال لهم بذلك الصوت المخصص ان اتبعاني فتبعاه ووراءهما السائق وساروا جميعًا يحمدون الله على تحقق امنيتهم الى ان استووا على ظهر الفيل واطلقوا له العنان فسار

وبعد برهة من وقوع ذلك الحادث تنبه الكهنة من غفلتهم ونظروا الى الاحطاب فرأوا فوقها جثة الشيخ فانجلى لهم سر الامر ولكن بعد حين فضجوا بالصراخ وتوغلوا بالصحارى يبحثون عن السلبة ويرمونهم على غير هدى بقسيهم ونبالهم ويطلقون عليهم الرصاص فاصيب فوج برصاصة في قبعته ولكنها لم تضر به واستمر فوج ورفقاؤه سائرين سير الاطيار حتى تجاوزوا كثيرًا مرامي الرصاص

الفصل الرابع عشر

في ان فيلاس فوج عبر وادي كانج العجيب ولم يكن يأمل بمشاهدته

وبعد ان الح المسعى ونجح العمل على نحو ما تقدم الكلام عليه قضى باسبارتو ساعة في القهقهة كان يشتد ضحكه فيها كلما تذكر الحيلة التي اخترعها والحدثة التي انطلت على اولئك الهنود فادخلوه محل شيخهم المحنط روح الفتاة التي فازت بالنجاة وقد شكر له السير كرومارتي اقدامه ونشاطه واثنى مولاه المستر فيلاس على بسالته وشجاعته فاجاب ان الفضل في

ذلك راجع الى مولاه دون سواه فهو الذي كان باعثاً على انقاذها من مخالب الموت الزؤام

ومرّ على الفتاة ساعات طوال من غير ان تفيق من سنة الرقاد لترى ما مر عليها وما آلت حالها اليه ولكن تستفيق جرّعها السائق اثناء الطريق كؤوس الرحيق ممروجةً بالماء ولكنها لم تستفق بل لبثت غائبة عن الصواب واهنة القوى لا حراك بها بما ازعجت عليها الخواطر لان ذلك كان شأن من سكر بتبيع القسب

وبناء على ذلك لم يقلق السير كرومارتي لغيابها عن الرشد بل اهتم باتهام المستر فيلاس انها اذا بقيت في ارض الهند تعود الى الوقوع في شرك الاخطار فتقبل فوعى المستر فوج كلامه ثم قال له انه سيستصحب السيدة عائدة في اسفاره

وفي الساعة العاشرة وصلوا الى محطة الله اباد التي يمتد منها الفرع الحديدي الى مدينة كلكوتا ويقضي القطار في ذهابه اليها مسافة يوم وليلة وكان من الواجب على المستر فوج ان يقدم اليها في ٢٥ اوكطوبر عند الظهر ليركب منها الباخرة التي تسافر الى كون كون

وفي محطة الله اباد اعد للفتاة حجرة لتستريح فيها وكلف باسارتو بالذهاب الى البلدة ليبتاع لها من الملابس ما هي في حاجة اليه

اما مدينة الله اباد (اعني مدينة الله) فهي من مدن الهند المقدسة لانها مبنية عند نهرين مقدسين وهما نهر الكانج ونهر جومنه اللذان يقصدهما الناس من جميع جهات الهند وقال براما ان نهر الكانج منبعه الفردوس وهو يجري على الارض رحمةً بالعباد وحباً بالولي براهم

ودخل باسارتو سوق البلدة لشراء ما كلف بشرائه فطاف شوارعها مفتشاً على مخازن الملبوسات ولم يجد فيها سوى دكان واحد لاحد الاسرائيليين فيه بعض المنسوجات فاشترى للفتاة منها ثوباً وبرنساً طويلاً وفروة من جلد الثعلب بمبلغ خمس وسبعين ليرة انكليزية وعاد الى المحطة

وكانت صروف الحدثان قد احدثت على هذه المدينة الزاهرة فعطلت تجارتها ودرست صناعتها ودكت حصونها

وهدمت اسوارها

وبعد ان مضى بعض ساعات على
عائدة افاقت من غشوتها وعادت الى
رشدها فاجالت لحظها فبين حولها ترشق
به الافئدة فجرّح وبرّح ولم يبق للمرء
من مطرح

بين اهل الهوى واهل الجمال
كل يوم دمٌ بغير قتال

وكانت بذلك على حد قول الشاعر

من حسنها ان ليس يوصف حسنها
وجمالها ان لا يحد جمالها
في آية الحسن التي قد اظهرت
وصالها من حيث عزّ منالها
ترنو بمقلة جؤذرٍ نالقٍ
وارحمتاهُ لمن تصيب نبالها
وتهزّ من تحت الغلائل قامةً
من غير شك قاتل عذالها
ومن انبهار بعطفها من طرفها
انى له شرك الغرام دلالها
فاذا رنت واذا انثنت واذا دنت
دبت بها من حيلة بخبالها

قال فرن وهي احق من الملكة
الحبشيا حاره بوصف الشاعر ابكاف.

وكان شعرها اللامع الاسود مسترسلاً
على كتفيها وجبينها يفوق الثلج بياضاً
والبدر بهاء وصباء ويقطف الورد من
وجنتيها المستديرتين وتنعكس من اضواء
البدور اشعة ساطعة على انسان عينيها
النارتين من تحت هدبيها الطويلين
ولها اسنان كالبرد يفترّ عنها ثغرها البسام
واذنان صغيرتان يتساويان كانهما خلقتا
من طينة الملائكة وفي رجليها الطواق
من الحجر جواهر جزيرة سيلان واثمن
لآلئ جولكند ولها خصر نحيل وقامة هيفاء
وعلى وجهها خمار من الحرير الهندي كانه
مصدر بالقصة منقوش بيد النقاش ((الاهلي))
المدعو فيكفا كارمد

وحدث ما استطعت عن حسن
السيدة عائدة وجمالها وتهذيبها وآدابها
وكانت متقنة درس اللغة الانكليزية كل
الاتقان وتتكلم فيها بافصح واوضح بيان

وقبل ان قام القطار من محطة الله
اباد نقد فيلاس فوج السائق اجرته على
مقتضى ما بينهما من الاتفاق ثم وهبه
الفيل جزاء خدمته الصادقة واخلاصه
التام فشكر السائق وحمد ما استطاع

الى الشكر والحمد سبيلاً وبعد ذلك ركب فيلاس موج ورفيقاه احدى مركبات القطار واجلسوا السيدة عائدة في المحل الاول وجلسوا هم ما اقرب منها مقدمين لها الاشربة المنبهة واستمروا كذلك حتى افاقت من سكرتها فوجدت نفسها على عربة يجرها البخار اسوة باقي عربات القطار المتوجه الى مدينة بيارس التى تبعد عن محطة الله اباد مسافة ثمانين ميلاً يقطعها القطار في مدة ساعتين فاستولى على الفتاة عند ذلك الاندهاش واحمرت خجلاً اذ رأت حولها اشخاصاً من الفرنجة ما رأتهم قط يعتنون بها ويمهدون لها اسباب الراحة والصفاء وفي اثناء المسير قص السير كرومارتي عليها ما كان من امرها واعلمها بمن كان سبب خلاصها ونجاتها

ولما فرغ السير كرومارتي من كلامه التفتت عائدة نحو منقذها والدمع ملء عينيها ولم تنطق ببنت شفة تاركة للدمع ان يعرب عن عواطفها وينوب عنها بتقديم الشكر على النعمة والامتنان من الغيرة . ثم اخذت تتذكر المصاب الذي كاد يفتك بها فارتعدت فرائصها وجمدت الله على خلاصها وانما ارعبها ما كان لم يزل محدقاً بها من الخطر ببقائها في ارض الهند فرأى المستر فوج على حسنها الوضاح علائم الارتباك فعلم بما كان موضوع افكارها فقال لها

يا سيدتي اننا سائرون الى كون كون حيث تكونين في مأمن من الخطر لا يدركك السلمة الاشقياء ولا يظفرون منك بمغنم فانجلت عن جبين الفتاة اذ ذاك غيوم الغم والاضطراب وزال عنها الوجل اذ علمت انها ذاهبة الى كون كون . المدينة الانكليزية التي يقطنها احد اقربائها ممن يجرون ذيول الوجاهة ومطارف الثروة ويتمتعون بنعيم التجارة الواسعة

وبعد الظهر وقف القطار في محطة بيارس التي تبعد بضعة اميال عن كون كون والتي يعسكر فيها الجيش الانكليزي الكائن بامرة السير كرومارتي فدنا السير كرومارتي من رفيقه فودعهما ثم ودع السيدة عائدة وانصرف عنهم جميعاً وفي قلبه غصة الفراق

وبعد ذلك سار بهم القطار في وادي الكانج فشاهدوا من وراء زجاج

النوافذ مناظر تدهش الابصار وتحير الافكار اذ رأوا جبالاً تناطح السماك قممها الشامخة يكسوها الربيع بساطاً سندسياً وحقولاً مزروعة من الحنطة والشعير والاذره وبحيرات تسبح فيها التماسيح وقرى تأهل سكاناً وصحارى تنبت الحصار وهماً وفيالاً ورجالاً ونساء وولداناً قاصدين الاستحمام في تلك المياه المقدسة عندهم وكان الفصل يومئذٍ فصل الشتاء فكان البرد قارساً والمستحمون لا يبالون به

ويقطن هذا الوادي طائفة شديدة الكراهة والاضطهاد لمذهب الوثنيين تعبد الاله ((براهما)) (المتجسد في ثلثة اقانيم) ((وياشنو)) اله الشمس والكواكب و ((صيفه)) اله اليأس والبطش اما براهما فهو اله الكهنوت والشريعة وجميعهم يخدمون عصاً ويستشيطون غيظاً ويتمزقون كدراً عندما يرون الهند انكليزية ويرون في مياه الكنج سمناً محاربة يجعل من دونها الذباب الحائم على وجه الماء ويهرب السلاحف الزاحفة على ضفتيه ويرتجف السماك المنشرون على شاطئيه

ومن سرعة مسير القطار في قلب ذلك الوادي لم يتمكن المسافرون من احداق النظر فيما مرّ ما نظر من المناظر التي تمر بها النواظر وتسر الخواطر كمدينة شينار الكائنة في حوالي مدينة بنارس على بعد عشرين ميلاً منها وكمدينة غازيبور المحتوية على عدة معامل لاستخراج ماء الورد وكضريح اللورد كورنواليس الكائن على الضفة الشمالية من نهر الكنج وكمدينة باطنه الزاهرة البالغة في التجارة والصناعة والرائج فيها سوق الافيون وكمدينة مونغير التي تضاهي مدينة ليفربول في المعامل الحديدية المنشأة لصب الحديد والسلاح الابيض

وما برح القطار سائراً حتى هجم جيش الليل ورفع فوق الارض راية الظلام وحجبها عن العيون فصارت لا ترى شيئاً موجوداً ومرّ الليل على هذه الحالة وفي الساعة السابعة من صباح اليوم التالي الواقع في ٢٥ اوكتوبر بلغ القطار محطة كالكوتا فاستراح فيها المستر فوج منتظراً حلول الظهر ليركب الباخرة المسافرة الى كون كون وكان قد مر عليه من يوم

خروجه من لوندره حتى وصوله الى كلكوتا ثلثة وعشرون يوماً وعلى مقتضى تعديله لاوقات رحلته يكون قد وصل الى كلكوتا في الميعاد الذي يجب ان يصل فيه اليها بدون تقديم او تأخير

الفصل الخامس عشر

في ان المستر فيلاس فوج بذل مبلغاً وافراً من النقود في سبيل حريته

ولما وقف القطار في المحطة نزل منه باسبارتو ثم تبعهُ المستر فوج قائداً بيده السيدة عائدة الى الرصيف وهناك عزم ان يذهب بها تواً الى الباخرة حيث تستريح من عناء السفر في احدى غرفها وقد آلى على نفسه ان يرافقها ولا يفارقها قط ما دامت في ارض الهنود محفوفة بخطر الموت وقبل ان يسير رأى امامهُ احد الجند واقفاً فقال له

— أحضرتك المستر فيلاس فوج وهذا خادمك باسبارتو

— نعم

— أتبعاني

— أمباح لنا ان نصحب هذه الفتاة معنا

— نعم

ثم سار الجندي وتبعه المستر فوج والسيدة عائدة وباسبارتو الى ان وصل بهم الى مركبة يجرها فرسان من جياد الخيل فركبوها جميعاً وسارت بهم في طرقٍ حرجة المسالك ملأى بأكواخ تأهل من القوم الرحل سكاناً مرتدين ثياب رثة واستمرت سائرة الى ان مرّت بمدينة اوربية ذات بنايات شاهقة مبنية من الآجر الاحمر تتفيأ ظلال اشجار من شجر جوز الهند فوقفت بهم امام قصرٍ عظيم وهناك نزل الجندي وانزل المسافرين من المركبة وسجنهم في احدى غرف القصر وامرهم ان يلبثوا فيها حتى الساعة الثامنة ونصف حيث يساقون امام قاضي او باديه ليسمعوا الحكم الصادر عليهم

فجلس باسبارتو على مقعدٍ في السجن يندب سوء حظه والتفتت السيدة عائدة باعين اغرورقت بالدموع الى المستر فوج وخاطبتهُ بصوت خنقه البكاء قائلة له

— لا كنت ولا كانت حياتي فانا

السبب في شقائك وسجنك وهمك وحزنك ولكن لا تندمنّ يا مولاي على ما فعلتهُ معي من الجميل فجزاؤك عند ربي واطلب اليك ان لا تتخلى عني لئلا يسوء مصيري وافقد الحيوة لا محالة

فاجابها المستر فوج

اني لا اتخلى عنكِ مهما جناني امركِ من المشاق والمتاعب وكلفني من النفقات حتى تصلي الى كون كون

فقال باسارتو

ان الباخرة تسافر من هنا عند الظهر

فقال فوج

وسنكون عليها قبل الظهر

وفي الساعة الثامنة ونصف سيقوا الى القاضي ومثلوا بين يديه

وبعد انعقاد الجلسة نهض كاتب القيودات واستدعى بالمستر فوج وباسارتو فاجاباه الى الدعوة ثم دخل صاحب المحكمة ثلاثة كهنة من الهنود واوقفهم في بهرة المجلس فلما رآهم باسارتو قال لرفيقه (هؤلاء هم الاناسة الذين ارادوا ان يحرقوا الفتاة عائدة)

ثم قراء الكاتب علناً نص الشكوى المرفوعة من الكهنة على فيلاس فوج وخادمه باسارتو لخرقها حرمة الاديان وبعد ان فرغ من قراءتها اجاب فوج وهو ينظر الى الساعة وقال

ـ هذا صحيح واقرّ بحدوثه ولكن أكلف الكهنة بان يحيطوا المحكمة علماً بما كان في عزمهم ان يرتكبوه في هيكل بيلاجي

ـ وقال باسارتو

شهد الله انهم لولانا لكانوا قتلوا نفساً حرم الله قتلهـا واماتوها اشنع ميتة فوق كومةٍ من الاحطاب يوقدونها فتحترق

فتعجب الكهنة من سماع هذه التهمات التي وجهت عليهم وما فهموا مغزاها ولا ادركوا معناها

فسأل القاضي باسارتو بقوله

ـ وهل كان ذلك في مدينة بومباي فتلجلج في الجواب ولم ينطق بكلمة فقال كاتب الجلسة

ـ وتثبيتاً لما ادعى به الكهنة من تحرزه على ما فعل هاحذاؤه الذي تركه في المعبد

قال هذا ووضع الحذاء على مائدة كانت امامه

فلما رأى باسبارتو ذلك تذكر ما
كان ناسيًا وحاق به قلق شديد لم يستطع
اخفاءه فانه علم ان موضوع الشكوى هو
دخوله الى هيكل الصنم مالبارهيل في
مدينة بومباي ولبس محاولته خرق جدران
هيكل جيلاجي

- مر بنا الكلام على ان اللصاص فيكس
قد سمع باسبارتو في محطة بومباي يقص
على مولاه ما وقع له مع كهنة هيكل
مالبارهيل فعمل على دس الضغينة في
افئدة الكهنة وحثهم على اقامة الدعوى
امام الحكومة فاتحًا لهم باب الطمع في نيل
قدر وافر من الذهب ارضاء لهم فبعثوا
برسائل برقية الى حاكم كلكوتا ليلقي
القبض على فيلاس فوج وخادمه لجناية
ارتكبوها فجعلت الحكومة تبحث عنهما حتى
وصلا الى مدينة كلكوتا وكان الكهنة قد
وصلوا اليها قبلهما لكونهما اضاعا زمنًا في
سبيل انقاذ الفتاة عائدة ولم يكن لفيكس
من مأرب في ذلك الا اعاقة فيلاس عن
السفر مدة حتى يصله امر القاء القبض
عليه من ادارة عموم البوليس في لوندرة

وسأل القاضي باسبارتو عما يقول
فلم يسعه غير الاقرار فحينئذٍ صدر الحكم
وقراه القاضي فاذا هو بنصه هكذا

(بما ان حكومة جلالة الملكة تشمل بحمايتها)
(جميع الهنود وتدافع عن اديانهم على)
(السواء وبما ان باسبارتو قد اقر بالجريمة)
(التي ارتكبها بدخوله الى معبد الصنم)
(مالبارهيل الكائن في مدينة بومباي)
(في اليوم الواقع في ٢٠ اوكتوبر قد)
(حكمنا على باسبارتو بالسجن خمسة عشر)
(يومًا واداء غرامة قدرها ٣٠ ليره انكليزية)
(وبما ان الموالي يسألون عما يفعل)
(خدمتهم فقد اعتبر المستر فوج ايضًا)
(مجرمًا ولذلك قد حكمنا عليه بالسجن)
(مدة ثمانية ايام وبدفع غرامة قدرها ٥)
(ليره انكليزية)

وبعد تلاوة هذا الحكم طاشت نفوس
وانتعشت نفوس فاهتز فيكس طربًا
وطفح فؤاده سرورًا لصدور الحكم على
المستر فوج بالسجن ثمانية ايام في مدينة
كلكوتا بحيث يتيسر له في خلالها تلقي
الاوامر من لندره بالقبض عليه اما باسبارتو
فانه وقف في موقف الحزن والكمد يندب
سوء حظه ويتعس الصعداء وما همه سوى

الحكم على مولاه ورحه في السجن مدة ثمانية ايام من غير ان يأتي مكرًا او يقترف دسًا

واما فيلاس فوج فما ثار له حاش ولا اختلج في صدره غيظ تأن لم يحكم عليه ولم يكن له دخلٌ في الامر ولما عمد الكاتب الى اعلان قضية اخرى لاستماعها طلب المستر فوج الى القاضي الافراج عنهُ بالضمانة فطلب منهُ القاضي دفع مبلغ قدره الف ليره فقبل فوج ودفع القدر المطلوب من السفاتج التي تحويها حقيبته وخرج موعزاً الخادمه ان يتبعهُ فبعد ذلك التمت باسارتو الى التصاة وسألهم بعضهم ان يرجعوا اليه حذاءهُ فردوه اليه ثم تبع مولاه الذي كان يخطر كالغيد ممسكًا بساعد الفتاة عائدة غير مبالٍ بما فقده من المال وكان فيكس يتأثرهم الى ان ركبوا عربة سارت بهم الى رصيف البحر حيث ركبوا صندلاً اوصلهم الى ظهر الباخرة رانغون التي كانت على اهبة السفر الى كون كون ولما تحقق فيكس سفرهم ضرب صدغه بيديه وخبط الارض برجليه واطلق للسانه العنان شتمًا وتجديفًا وخبط على المستر فوج وعلى الارض التي تقله والسماء التي تظله والطعام الذي يغذيه والماء الذي يرويه ثم هام في اودية التأمل قصد الاهتداء الى وسيلة يوقف بها المستر فوج الذي لا يأسف على فقد الدرهم ولا يجتنب في بذله لومًا فانهُ انفق منذ قيامه من لوندره حتى وصوله الى كلكوتا ما يربي على خمسة آلاف ليرة بين جزاء يؤديه وفيل باعلى الاثمان يشتريه وغرامة يدفعها وضمانة يفقدها ما جاء مضرًا بمصلحة الشاطر فيكس الذي اذا قبض على فوج وكان هو اللص نال خمسةً في المائة من الاموال التي تضبط منهُ وذلك ما عدا المكافأة التي وعد بها فكان لذلك يأسف على الاموال التي كان ينفقها

الفصل السادس عشر

كيف ان فيكس تجاهل تمامًا ما كان يسأل عنهُ

لم تتوفر اسباب الراحة للسيدة عائدة في الباخرة رانغون التي يبلغ محمولها الف وسبعمائة وسبعين طنًا وقوتها اربعمائة

حصان وتصارع الباخرة مونحوليه في سرعة المسير لا في تمام الاتقان والانتظام وهي من بواخر شركة البابورات الشرقية المتخذة خطة مسيرها بين الصين واليابان وتسير مدة اثني عشر يوماً تقطع في خلالها مسافة ثلثة الاف وخمسمائة ميل وهي المسافة الكائنة فيما بين كلكوتا وكون كون

وقد قصت السيدة عائدة الايام الاوائل من سفر الباخرة في قص الاحاديث على المستر موج بما كان يذهب عنه الشجن ويزيل عن قلبه الحزن معربة له من آن الى آن عن مزيد امتنانها من اهتمامه بانقاذها واعتنائه بها فانشرح بلطف كلامها صدراً وقر بمحاسنها الفتانة عيناً

وقد كشفت له النقاب في خلال الحديث عن حسبها ونسبها وذكرت له لمعاً من تاريخ اعاظم رجال عائلتها واقربائها الذين نالوا بياشين الشرف من جلالة امبراطورة الهند وجمعوا الاموال من اتجارهم بالاقطان واحاطته علماً باسم التاجر الشهير السير جامس جيجيهوري المقيم في مدينة بومباي ابن عم المكرم جيجي احد اغنياء كون كون واعظمهم اقتداراً وهو من عائلتها الشريفة . وقد ابانت في حديثها كونها على ريب من لقاء ما تتمناه من الرعاية في نزولها عليه في كون كون

وكان فيلاس فوج كله آذاناً مصغية الى حديثها وهي تبدي من الدلال على غير عمد ما كاد يجعله بها صباً مستهاماً ولو لم يكن كما عرفناه من حيث التأثر والانفعال لا فتتن بها واشتدت غيرته عليها ولكنه لم يأبه بالهوى ولم يذق طعم الصبابة فتحول لذلك عن الافتتان بجمال هذه الغادة الحسناء الى الاعتناء بامرها وبملازمتها على قدر الامكان لئلا يدركها الملل من العزلة وقد اقتصر على ان يظهر لها الملاطفة والمؤآنسة من ضمن دائرة الادب والاحتشام

وكان باسارتو قد اعلم السيدة عائدة باخلاق المستر فوج وبما هو عليه من غرابة الطباع وبأمر طوافه حول الارض في ثمانين يوماً

وما زالت الباخرة تشق العباب والريح طوعها حتى اشرفت على جزيرة اندامان التي تنطح السحاب بجبالها العالية وتتخللها فلوات واسعة شاسعة يظللها

شجر النخل والخيزران وجوز الطيب وغير ذلك من الاشجار الغضة التي تحجب الابصار عن الانظار. ووراء هذه الفلوات سلسلة جبال عديدة يأوي مخدرها طير السنونة الذي يطبخ من لحومه الذ المأكولات في مملكة ابن السماء

وباسرع من لمح البصر اجتازت السفينة هذه الجزيرة ودخلت في بوغاز ((مالاغا)) المتصل ببحر الصين

وبعد ما تحقق البصاص فيكس مبارحة المستر فيلاس فوج لمدينة كلكوتا امسى مصعوقاً بصعقات الخيبة فتوجه الى ادارة الضابطة واعلمها بعزمه على الذهاب الى مدينة كون كون وطلب منها ان ترسل اليه ما عساه ان يرد اليه من لندره متعلقاً بوجوب القبض على المستر فوج ثم عاد الى الميناء وركب صندلاً فاوصله الى الباخرة رانجون وهو في حال من القلق والاضطراب لا يعلم شدتها الا الله وقد اخذ يشارعه عاملان هما بذل المستر فوج للدينار بنفاساته مشاق الاسفار والخوف من فرار المستر فوج من بين يديه اذا تاخرت ادارة البوليس في لوندره عن ارسال الامر القاضي بالقبض عليه ولا سيما اذا بلغ كون كون ولم يلحق الامر المنتظر فان هذه المدينة هي آخر حدود مملكة انكلترة في الهند واذا تجاوزها ودخل فوج ارض الصين او اليابان او امركا تعذر عليه القاء القبض عليه بسهولة فان شرائع هذه البلاد تقضي باطلاق الحرية لكل ملتجئ اليها من مرتكبي الذنوب في غيرها الى ان تصدر عليه الاحكام بما يستأهله من العقاب وبهذه الطريقة تمكن اللص من التخلص والفرار وتكون اتعاب البصاص ومشقاته قد ذهبت ادراج الرياح

ومرّ على فيكس ساعات طوال قضاها في حجرته بالباخرة متقلباً بين اليأس والرجاء تائهاً في قفار الافكار والتصورات واستقر كذلك الى ان حكم بانه اما ان يتمكن من القبض على المستر فوج في كون كون واما لا فاذا تم له الامر الاول يكون قد بلغ اربه ومشتهاه ونال الشرف والافتخار والاّ فيكون مسعاه قد اخفق ولحق به العار والشنار فلا يتجاوز تلك المدينة في اقتفاء اثر اللص

وكان في عزمه ان يكاشف باسارتو

بما خطر له الانة خاف سوء العقبى فامتنع
وشغل عن الاستسلام للتاملات بالتعجب
والانذهال عند مشاهدته بجانب المستر
فوج فتاة حسناء تميس بحلة البهاء وتجاذبه
اطراف الحديث فظن انها خليلته وانها
واعدته بعد افتصاح امرها على الاجتماع في
ارض الهند حيث يكونان بمعزل عن
العاذل والرقيب وانه تحرة ما هزها الهواء

اي غصنٍ ما حركته رياحٌ
اي قلبٍ لم ترمه عينان

وحاول اللصاص فيكس معرفة من
تكون هذه الغادة الحسناء واين ومتى
التقت بالمستر فوج حتى اذا ما دلته قرائن
الاحوال على كونها خليلة له مقيدة بحل
سواء واغتيالها بداء من سحر روحها
افتتانًا بحسنها وجمالها وشى عليه ودس
الدسائس واستلفت اليه انظار الحكومة
فتقبض عليه لتتحرى امره ويكون بهذه
الوسيلة قد القى في طريقه عثرات اوقفت
اطراد مسيره الى ان يرد اليه من لوندره
امر القبض عليه

وكان اللصاص فيكس شديد الرغبة
في الوقوف على حقيقة الامر صباً بالوقت
ان يذهب على غير طائل حتى اذا رست
الباخرة في مياه سنغافور في اليوم التالي اي
اول نوفمبر رفع الامر الى حكومة كونكون
بسلك الاشارة البرقية وكلفها بالقبض على
المستر فيلاس وزجه في السجن لارتكابه
جريمة السبي وانتهاك الاعراض باغتيال
فتاة يسوقها امامه على غير ارادتها ويسومها
الخسف والعار

وعزم فيكس ان يجتمع بباسبارتو
ويطارحه الحديث ليستطلع منه طلع الحالة
وقوفًا على سر الفتاة واصطحاب المستر
فوج لها فخرج من حجرته وصعد الى ظهر
الباخرة فالتقى بباسبارتو الذي لما حانت
منه التفاتة اليه اقبل عليه وحياه تحية
المشتاق بعد طول الفراق وقال له

ـ ما لي اراك على ظهر الباخرة الفلك
تطوف مثلنا حول الارض في ثمانين يومًا

فاجاب فيكس

ـ لا وانما قضت عليَّ بعض الدواعي
بالذهاب الى مدينة كونكون لاصرف
فيها بضعة ايام في قضاء بعض الحاجات

ـ وكيف حرمتني من انسك والطافك
في المدة التي مرّت بنا من حين

خروج الساحره من مرفأ كلكوتا

ـ لأن الم البحر الم بي فكدر صفاء عيشي والقائي على فراش العناء اتقلب بين اليأس والرجاء بسبب انحراف صحتي ولكن قل لي كيف حال مولاك

ـ في غاية ما يرام من العافية والنجاح في طوافه حول الارض في ثمانين يوماً وياليتك تعلم من نصطحب معنا

ـ من من

ـ غادة حسناء تزري بالشمس بهاء وبالبدر جمالاً وبالغصن اعتدالاً

ـ غادة غادة . . فتاة . فتاة .

و

ـ اجل

ثم قص عليه ما توقع لهُ في هيكل صنم بومباي واخبره بما قضي به عليه وعلى مولاهُ في مجلس كالكوتا وبسط لهُ كيفية شراء الفيل وانقاذ الفتاة عائدة من الحريق فكان فيكس يسمع الكلام بعجب واستغراب كأنه ليس على علم بعضه وبعد فراغ باسبارتو من كلامه قال له فيكس

ـ هل في عزم مولاك ان يستصحب هذه الفتاة الى اوربا

ـ لا ولكنه سيسلمها لاحد اقربائها في كون كون

فتكدر فيكس عند سماعه هذا الجواب وصرف باسانه ثم دعا باسبارتو لتناول كاس مدام فقبل الدعوة وشرب الكأس على سر تلاقيهما في الساحرة رانجون

الفصل السابع عشر

في ضروب مختلفة من الكلام

ومرّت ايام السفر من كلكوتا الى كون كون وباسبارتو يلتقي في خلالها باللصاص فيكس على ظهر الساحرة فيصرفان الوقت في الحديث غير ان فيكس كان يتحاشى في حديثه التطويل والاسهاب لئلا يأتي غير مختار بما ينشف عن ذات الصدور

اما باسبارتو فكان يتأمل البواعث التي قضت على فيكس باتباع هذه الخطه من السير وراء فيلاس فوج وبما انه من طبع كل انسان ان يتأمل الاسباب ويأولها خطر لباسبارتو ان فيكس انما هو مكلف من قبل اعضاء الكلوب في لوندره باقتفاء اثر فيلاس فوج في

رحلته ليأتيهم بالدليل الصحيح القاطع لقول
كل خبير مكيمية اتمام الرحلة

وقد ساء باسارتو لدى هذا التامل
عدم ثقة رجال الكلوب بمولاه حتى انهم
الحقوا به جاسوساً سرياً يرقب سيره ولكنه
ارتأى ان يكتم الامر لئلا يثير في مولاهُ
عامل الغضب

وما حلت الساعة الرابعة من صباح
يوم الخميس الواقع في اول نوفمبر حتى
اجتازت الباخرة رانجون بوغاز مالاغا
ورست في مياه سنغابور لادخار الفحم واللحم
والمأكل والمشرب وكان رسوها قبل
ميعاد وصولها القانوني بست ساعات
رقمها المستر فوج في حقل الارباح من
دفتر رحلته ونزل الى البر مستصحباً السيدة
عائدة وربما استوت قدماه على الارض
استأجر عربة يجرها فرسان من خيول
هولاندة فركبها مع السيدة عائدة والبصاص
فيكس يرقبهما عن بعدٍ فسارت بهما في
جزيرة سنغابور بين الحدائق والرياض
والبساتين والغياض التي تخلو عن العواد
صداء الكمد حتى مرّت بهما تحت ظلال
الجار من النخل والقرنفل والفلفل
والخيزران وجوز الطيب التي يتفيأ ظلالها
مئات من القرود والنمورة والفهود التي
تاتي تلك المرابض من جهات مالاغا
بطريق البوغاز عائمة على وجه الماء

وبعد ان قضى المستر فوج والسيدة
عائدة مدة ساعتين في جوب الغيطان
يستنشقان النسيم عادا الى المدينة ذات
الساباطات الشاهقة والقصور الجميلة التي
تكتنفها الحدائق من كل ناحية وصوب
بما يسرّ الخواطر ويبهر النواظر

وكان باسارتو قد خرج من الباخرة
الى المدينة سنغابور وبعد ان جال في اسواق
المدينة عاد الى ارصفة البحر ينتظر اياب
مولاه ولما ان وفد عليه مصحوبًا بالسيدة
عائدة دنا من الفتاة وقدّم لها فاكهةً كان
قد ابتاعها من السوق ثمرًا يشبه التفاح
حمرة ورائحةً فتناولته من يديه واثنت عليه
وركبوا جميعًا صندلاً واحدًا اوصلهم الى
الباخرة التي اتوها غاصةً بالركاب المختلفي
الاجناس من هنود وسيلانيين وصينيين
وماليين وبورتوغاليين وقد اقلعت بهم
بعد الساعة الحادية عشرة قاصدة جهة
هون كون التي تبعد عن سنغابور مسافة

الف وثلثماية ميل وفي بادئ سيرها كان الجو صافياً والهواء معتدلاً ولكنها لم تقطع بعض اميال حتى ثارت الرياح وازبد البحر وتلاطمت الامواج وهبت العواصف من الجهة الجنوبية الشرقية مهدت للسفينة سبيل السير السريع لا سيما بعد ان نشر الربان شراعها

ولم يكن من متمنى المستر فيلاس فوج سوى ان تمكن السفينة من الوصول الى كون كون في مسافة ستة ايام حتى يتسنى له السفر على الباخرة التي تسافر في ٦ نوفمبر الى يوكوهاما (احد مرافئ اليابان المهمة)

واشتدت ثورة الانواء على السفينة وهي تشق العباب حتى كادت الامواج المتلاطمة تبتلعها فانها كانت ترفعها تارة الى ما يوازي ارتفاع الجبال الشامخة وتخفضها طوراً الى اعماق اودية اليم حتى انخلعت قلوب الركاب واضاعوا الرشد والصواب فاستلقوا على ظهورهم من الهلع والخوف وشدة الاهتزاز

وهنا محال للقول ان في سفن بواخر الشركة الشرقية (١) وغيرها من بواخر شركة جولجونده وكوريه نقصاً واختلالاً من حيث تجويفها واتساع دائرتها فانها لا تكاد تحمل سدس ثقلها حتى تغوص في الماء بخلاف السفن الفرنسوية من سفن شركة الميساجيري والامبراطورة والكامادج فانها تحمل قدر ثقلها من المياه ولا تغوص

ولا تسل عن باسارتو فانه كان يحتدم غيظاً على مهندسي السفينة ويسلقهم بلسان حادّ ويرمي عمالها باسهم التعنيف والتقريع ويشتم شركة البواخر ويدعو بالقطع على الايدي التي انشأتها والبحر الذي اقلها

وربما كان غيظ باسارتو ناشئاً عن تذكره لمصباح الغاز الذي تركه موقداً في حجرته بشارع سافيل في لوندره فشط عن الرشد لعلمه بانه لا يزال موقداً على نفقته ومل من طول السفر

وبينما كان ذات يوم على هذه الحالة من الضجر والقلق سألة النصاص فيكس

---

(١) التي تمخر مياه الصين

عن سبب كدره واحاته

ـ انى سئمت من طول السفر

ـ هل في عزم المسترفوج ان يذهب من كون كون الى يوكوهاما على اول باخرة

ـ لا محالة

ـ هل انطلت عليك حديعة في هذه الرحلة الغريبة

ـ وعليك

ـ معاد الله

ـ يالحداع . فعليك ادن ان تستمر مرافقاً لنا في هذه الرحلة حتى تعرف الغث من السمين وتميز بين الشك واليقين

ـ اني عازم على دلك ادا سمحت لي الظروف ومكنتني الاحوال

ـ اظن انها تسمح لك بمبارحة كون كون كما سمحت لك بالسفر من بومباي والخروج من كلكوتا ولكن قل لي ماهو الربح الذي تربحه من هذه الحرفة

ـ تارة يكون كثيراً وطوراً يكون قليلاً حسب الظروف ولكن لست في هذه المرة مسافراً على نفقتي الخصوصية

ـ انى عالم بدلك جيداً

قال هذا وضحك حتى استلقى على قفاه

فتبين القناص فيكس من دلك ان الشاب الفرنسوي اطلع على امره ووقف على حره فراعه اتصال الامر بالمسترفوج وبعد انتهاء الحديث انطلق فيكس الى حجرته فدخلها مكتئباً معتمداً رأسه بين يديه مفكراً في شأنه وفيما عسى ان يتخذه من التدابير بعد افتضاح امره . واستمر كذلك الى ان خطر له ان يتربص ويتخلد في تبادل الحديث مع باسبارتو في هذا الشأن حتى ادا علم من سياق الكلام ان بين الخادم ومولاه اتفاقاً على ارتكاب السرقة نشط الى اقتفاء اثرها واما ادا تحقق فساد ظنه وبراءة المسترفوج اوقف مسيره في كون كون

الفصل الثامن عشر

كيف ان كلاً من المسترفوج وباسبارتو وفيكس توجه في سبيله لقضاء حاجاته

واشتدت على السفينة وطأة الانواء

في الايام الاخيرة من سفرها لما اشتداد ثارت عليها العواصف والزوابع بجدة لا مزيد عليها في ثالث ورابع نومبر وتحولت الريح الى الجهة الشمالية الغربية فحالت دون مسير السفينة ومنعتها من الاستمرار على سيرها المنتظم فطوى ربانها الاشرعة ما عدا شراع الصاري الاوسط لتتمكن من استقراء حطة سيرها على مهل بحركة عشرة دواليب من الرفاص

ولا خفاء انهُ اذا دامت الحالة على ما هي عليهِ من ازباد البحر وهياج الانواء يتأخر وصول السفينة الى كون كون مدة عشرين ساعة في الاقل وهذه المدة كافية لان تحبط مسعى المستر فوج وترده الى بلاده خاسرًا خائبًا اذ ينقطع بهما حط المواصلات بين البواخر التي تسافر من اماكنها في اوقاتها المعينة

وبقدر ما كان البحر مزبدًا كان النصاص فيكس فرحًا مسرورًا بل كان يبتهل الى الله ان يزيد عصف الانواء في ذلك البحر العجاج لتتأخر السفينة عن الوصول الى كون كون عدة ايام بعد ميعادها المعين فتكون الباخرة المسافرة الى يوكاهاما قد اقلعت اليها فيتوقف اذ ذاك سفر المستر فوج اليها

وكان فيكس لدى هذه التأملات غير مبالٍ بما كان يقاسيهِ من التعب والعناء اما باسبارتو فكان شديد التسخط على هياج البحر العجاج وتلاطم الامواج ويرتعش انفعالاً من اسباب ذلك التأخر ويتميز يأسًا من الحصول على المراد وقنوطًا من الوصول الى كون كون قبل ان تسافر منها الباخرة المعينة للسفر الى يوكوهاما كائنة نفس عاقد الرهان المعرّض لخسارة مبلغ العشرين الف ليرة

وكان تارة يتأمل ثورة العواصف وهبوب الرياح فيتحول عن مصدر هبوبها الى النظر في كيفية سير السفينة وحينًا يذهب الى ربان السفينة ليستعلم منهُ عن وقت سكون الانواء وآونةً ينطلق الى نوتية السفينة ويحثهم على الصبر والجلد واستمر كذلك الى ان وقف شاخصًا الى الفضاء لا ينطق بكلمة ولا يبدي حراكًا

وفي ٤ نومبر تغيرت الرياح وجاءت ملائمة لسير السفينة وسمع ان مخبر الاحوال وبدل العسر باليسر فهدأ روع باسبارتو

وعلق اهداب آماله بمواصي التقادير

ولكن السفينة قد ابطأت كثيراً في المسير بحيث استحال عليها ان تبلغ يوكوهاما في ميعادها المعين اي في ٥ نومبر وقد وصلت في الساعة السادسة من صباح سادس نومبر الى مدخل بوغاز كون كون فحضر اليها رئيس البوغاز ليتولى قيادتها في الدخول الى المرفاء قصد ان تدخله امنة شر الصخور

وعزم باسبارتو مراراً على الاستفسار منه عن سفر البريد الى يوكوهاما ولكنه كان يمتنع من ابداء ما لديه فان شدة الخوف كانت تحمله على الاعتقاد بان سؤاله سيلقى جواباً يميت فيه نية الامل فلبث لذلك يعاني الم الصبر اما المستر فوج فدنا في خلال ذلك من الرئيس وسأله عن بريد يوكوهاما فاجابه الرئيس ان البريد تأخر عن ميقات سفره الى الغد لان السفينة ((كارناتيك)) التي كانت مزمعة ان تنقله الى المحل المعين له طرأ على بعض آلاتها تعطيل مست الحاجة الى اصلاحه فنصت بتأجيل السفر الى الغد وانها لذلك ستنصل الى يوكوهاما قبل سفر الباخرة منها الى سان فرنسيسكو وان بين السفن التي تجتاز الباسيفيك عهوداً تقيدها بالواجبات التي تنشأ عما اذا حدث لاحداها تأخر عن مواعيدها فتبسم المستر فوج سروراً وامتناناً من التقادير التي احدثت هذا التأخر غير المنتظر لسفر الباخرة ثم شكر للرئيس تعليماته الجلية وعاد الى حجرته في السفينة اما باسبارتو فكان كله ساعة ذلك الحديث اذاناً مصغية فزايله عند سماع تلك الكلمات كل وجل واضطراب ثم اقبل على الرئيس فهز يده دلالة على التشكر والامتنان

وفي الساعة الاولى بعد الظهر رست السفينة في مرفاء كون كون فنزل ركابها الى البر وكل منهم مشتغل بشأنه متوقع للوصول الى اربه

وبما ان السفينة كارناتيك المكلفة بنقل البريد الى يوكوهاما لا تبارح مياه كون كون الا في الساعة الخامسة من صباح اليوم الثاني كان للمستر فوج فرصة ١٢ ساعة يقضيها في الاهتمام بشؤون السيدة عائدة فنزل الى البر مستصحباً اياها وانزلها

في فندق ((القلوب)) مشيراً الى خادمه باسارتو بالاعتناء بها ثم سار الى المدينة التماس التعرف بحضرة المكرم حيجي احد اقرباء الفتاة ليطلعه على ما كان من امر نسيبته ويسلمها له

ولهذا القصد توجه الى البورسة علمًا منه بان ((حيجي)) معدود من اعاظم تجارها ووجوه وجهائها وانه يسهل عليه الاسترشاد اليه من اهل البورصه . ولما بلغها استدل على احد سماسرتها فاستعلم منه عن مقر حيجي المذكور فاجابه السمسار انه بارح كون كون منذ عامين بعد ان جمع منها مالاً لا تحصيه ارقام ولا تحصره اقلام فاختار الاقامة في اوربا وفي الغالب انه استقرّ في هولانده

وبعد ذلك عاد المستر فوج الى الفندق واخبر السيدة عائدة بما سمعه من بارحة نسيبها لمدينة كون كون فكان من الفتاة ان لزمت الصمت حيناً ثم عمدت الى الافتكار فامرّت يدها على جبينها الوضاح وسألت المستر فوج عما تحريه فاوعز اليها بالسفر معه الى اوربا وقال لها ان عزمك معي الى تلك الديار يذهب

عنك الاحزان ويجلو عنك صداء الاشجان

ثم التفت الى خادمه باسارتو وامرهُ بان يذهب الى السفينة ((كارناتيك)) ويعد فيها ثلاث غرف مخصوصة فتوجه باسارتو الى السفينة مسروراً . اما الفتاة فانشرحت بذلك صدراً وافترّ مبسمها عن لؤلؤ دري بعد تقطب وجه حالته بعد الانبساط بدراً

لم يضحك الورد الا حين اعجبه
حسن الرياض وصوت الطائر الغرد
كأنّ فيه شفاء من صبابته
تشفي القلوب من الاوصاب والكمد
لا عذّب الله الاّ من يعذبه
بسمع باردٍ او صاحبٍ نكدِ

العصل التاسع عشر

كيف ان باسارتو اهتم بشأن مولاه

بمقتضى معهدة نانكين اُلحقت جزيرة كون كون بالاملاك الانكليزية بعد حرب سنة ١٨٤٢ ومن ذلك الحين جعلها مهاجرو الانكليز محطاً لرحالهم فعمموا فيها التجارة والصناعة وانشأوا فيها مرفاء تجاريًا واطلقوا عليه اسم ((مرفاء فيكتوريا))

وهي واقعة عند مصب نهر كانتون على مسافة ستين ميلاً من المدينة البورتغالية ما كاد الكائنة على الضفة الاخرى من النهر

وفي وسط كون كون تجري جداول من المياه وفيها مستشفيات لذوي الامراض والعاهات وثكنات للعساكر ومخازن للبضائع وسرايات للحكومة وطرقات وشوارع منتظمة على الترتيب الهندسي وفي الجملة ان المدينة لا تحاكيها بروقتها وانتظامها الاحدى مدائن الكونت كانت او الكونت سيرري

وانطلق باسارتو الى رصيف ((فكتوريا)) ويداه في جيوبه فاباحوه المطية واجال طرفه في البحر فرأى سفناً فرنسوية وانكليزية وامركانية وهولاندية وسفناً تجارية ودوارع حربية وزوارق يابانية وصينية وغيرها ثم حول نظره الى البر فرأى هوادج ومركبات واقواماً من الصينيين واليابانيين والفرنجة يزدحمون في الطرقات ازدحام الناس في كلكوتا وسنغابور وبومباي وهي المدن التي مرَّ بها وشاهد عدداً من الشيوخ الطاعنين في السن لابسين ثياباً صفراء فرقهم بعين الانتقاد ثم سار حتى بلغ دكان حلاق فدخله ليحلق لحيته على الزي الصيني فعلم منه ان اولئك الشيوخ ما لبسوا تلك الثياب الصفراء الا لانهم تجاوزوا حد الثمانين

ثم عاد الى الرصيف لينطلق منه الى الباخرة على قصد ان يحجز فيها ثلاث غرف وفقاً لاشارة مولاه فوصوله الى الرصيف ابصر عن بعد النصاص فيكس يخطر جيئة وذهاباً وعلى وجهه علائم الارتباك فدنا منه وسأله بقوله

— هل نذهب معاً الى امركا

— نعم

قال ذلك وصرف باسنانه كدراً وغيظاً

فقال له باسارتو

هلم ادن منا الى السفينة لنحجز فيها اربع غرف لنا

فاجابه الى ذلك وتوجه كلاهما الى السفينة فاستأجر فيها اربع غرف مخصوصة ولما هما بالخروج اعلن لهما كاتب السفينة ان سفر الباخرة يكون في الساعة الثامنة

من مساء النهار لا باكرًا كما سبق اعلانه للركاب فشكراهُ وحرجا

ولما انتهيا الى الرصيف دعا فيكس باسارتو الى تناول كأس شراب في احدى الحانات الكائنة على الرصيف فقبل باسارتو الدعوة بمزيد الامتنان وسار مع فيكس الى حانة فرسة فالفيا فيها قومًا يعاقرون الخمرة ويشربون الجعة (البيرا) والكونياك وقومًا يتملون بالافيون فيفقدون الحس والصواب ويستلقون على الارض سكارى

فعلم باسارتو وفيكس اذ ذاك انهما دخلا حانة يجتمع فيها الرعاع لتدخين الافيون التي تنتفع منهُ التجارة الانكليزية في كل سنة بمائتين وستين مليونًا من الفرنكات فلحى الله حب الدينار انهُ حامل للمرء على ارتكاب المنكرات

وقد حاولت الحكومة الصينية عبثًا ان تحظر على رعاياها شرب الافيون بالنظر الى ما ينجم عنهُ من المضار التي تسمّم الاجسام وتذهب بالعقول ولكن

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثلهُ
عارٌ عليك اذا فعلت عظيمُ

فان كبار رجال الدولة الصينية يتداعون الى شربه تداعي الجياع الى القصاع فاقتدى بهم صغار القوم من رجال ونساء وادمنوا على استعماله حتى صار فيهم ملكة راسخة صعبة الزوال وحتى مات من يحاول الامتناع من معاطاته عرضةً لالام معوية لا تطاق

وبعد ان دخل فيكس وباسبارتو الى هذه الحانة طلب فيكس زجاجةً من نبيذ ((بوردو)) فاتاهم بها صاحب الحانة فشربها مع باسارتو الذي اعجبه جودة صنعها وبعد ان شرباها هم باسبارتو بالذهاب ليعلم مولاه بمعاد سفر الباخرة فامسك به فيكس وقال له

البث قليلاً لاحدثك برهةً بشأن مولاك

ـ تكلم

ـ هل اكتشفت على امري

ـ تمامًا

ـ احسست دنى عليّ ان اشرح لك بالتفصيل كل

ـ لا لزوم لذلك فاني عرفت كل ما تريد ان تقوله لي ولكن اولئك الاشخاص قد كلفوا انفسهم من النفقات ما لا تطيق

ولا كلف الله نفساً فوق طاقتها
ـ يظهر من حديثك انك تجهل جسامة المبلغ
ـ لا اجهل شيئًا فالمبلغ قدره عشرون الف جنيه
ـ انت في خطاء مبين فان قدر المبلغ خمسة وخمسون الف جنيه
ـ خمسة وخمسون الف جنيه . . فماذا تقول . . . هل تجراء المسيو فوج على . . . فاذن صار من الواجب ان استعزه للذهاب الى الباخرة حذرًا من التأخر
ـ امكث قليلا
فجلس باسبارتو وبعد ذلك طلب فيكس زجاجة من الكونياك ثم اخذ في الكلام فقال لرفيقه
ـ اعلم ايها الصديق اني اود تأخير فيلاس فوج بضعة ايام في كون كونغ فاذا فرت بهذه الامنية ربحت جائزة قدرها الف ليرة واعطيتك منها مائتين اذا ساعدتني على بلوغ اربي
ـ ألا قاتل الله حب الاثراء . كيف جرءوك اولائك الرجال على اتيان هذا المكر . وكيف تأمل ان اساعدك والقي في سبيل مولاي عثرات تؤخره عن اتمام الرحلة التي اراه الان يتمها بكل صداقة واستقامة فاقلع عن عبك ولا تأمل مني ذلك
ـ فمن هذه الاجوبة التي كانت تارة تصيب المرمى وطورًا تخطئ الموضوع ارتبك القناص فيكس في امره وازالةً لارتيابه سأل باسبارتو قائلاً
ـ من انا
ـ انت جاسوس من قبل اعضاء ((كلوب ريفورما)) في لوندره أرسلت لتقتفي اثرًا وترقب رحلة مولاي وتلقي في سبيله عثرات الاعاقة
ـ اخطأت اخطأت واني ايها الصديق قناص مرسل من قبل ادارة البوليس في لندره فلما حدثت في ٢٨ دسمبر سرقة البنك التي اضاع بها مبلغ خمسة وخمسين الف جنيه ارسلتني الحكومة الى مدينة السويس لاكتشف على الفاعل وهذه هي اوراقي التي تثبت لك قولي وهذه هي علامات اللص المرسله الي فانظر كيف انها مطابقة تمامًا لهيئة مولاك ـ ثم قال ـ وقد رجح

لديَّ الان ياباسارتو ان المستر فوج هو اللص نفسه وانهُ فرَّ من وجه العدالة بهذه الحجة الساقطة وهي حجة الطواف حول الارض في ثمانين يوماً

فضرب باسارتو الارض برجليه والمائدة التي امامها بيديه ثم التفت الى فيكس بعين الغضب وقال له

ـ قد ساء ظنك بمولاي فهو اكثر استقامة من كل من شب ودب . فقال له فيكس

ـ من اين اتصل بك ان مولاك بمكان من الاستقامة وانت لم تعرفه الا في اليوم الذي تقيدت فيه بخدمته وظهر لك بهذا المظهر اي الطواف حول الارض فلا اخالك بعد ذلك الا مشتركاً معه في الجريمة حتى انك اكثرت من ضروب الحديث فالتهيت حذقاً ودنت تصوراً تخدعني بفصاحة لسانك وحسن بيانك وتنفي عن مولاك الشبهة واما لست من يحسبون الآل ماء ويخدعون بظواهر الكلام ومما علمت الان من احوالك وبمدافعتك عن مولاك اصبحت مشتبهاً فيك فيحق لي لذلك ان اقبض عليك ايضاً

فاطرق باسارتو في الارض وجعل يفتكر في مولاه ويراجع ما مرَّ عليه من احواله فما تبين له منها ما يشينه بل مرَّ عليهِ منها ما يستحق الثناء من اجله كانقاذ السيدة عائدة من مخالب المنون

وبعد ان فكَّر برهة التفت الى فيكس وقال له

ـ والان ماذا تريد

ـ اريد ان تساعدني في اعاقة مولاك في كون كون مدة من الزمان حتى يرد اليَّ من ادارة الشرطة في لوندره أمر القبض عليه

انك لسائلٌ غير مجيب

ولماذا . فاني اقتسم معك مبلغ الالفي ليرة الذي اقبضهُ من بنك المملكة على سبيل المكافأة

فاجابه متلجلجاً

لا اخون مولاي ولو اعطيت مال الدنيا قاطبة فاني ما لقيت منهُ سوى المعروف والاحسان و . وقد عرفتهُ كريماً محسناً محباً للخير و . واني من ارض لا تنبت من يكفر بالنعمة ويجحد

المعروف وو. و

فعلم فيكس ان باسبارتو اكثر من تناول المسكر بما كان فوق الطاقة فطلب له زجاجة اخرى من الكونياك وملأ له الكأس منها ثم دفع اليه عليونًا مملوءًا بالافيون فاخذه باسبارتو ودخن منه فلعب في لبه وغيبه عن الحواس ثم انطرح على الارض فاقد الرشد والصواب فسر اللصاص فيكس بذلك وتركه في الحانة على حالته وتوجه بعد ان دفع ثمن المشروب وفي فؤاده حزازات

وسار وهو معترض احد امرين اما ان المستر فوج لا يعلم بسفر الباخرة ((كارناتيك)) في تلك الليلة فسافر بدونه واما انه يعلم بميعاد سفرها فيسافر تاركًا خادمه في المدينة

الفصل العشرون

في ان فيكس تكلم مع المستر فوج مباشرة

بينما كان اللصاص فيكس والشاب باسبارتو مشتغلين بالحديث الذي نعلم كان المستر فوج والسيدة عائدة يتخطران في شوارع المدينة طلبًا للتنزه والتفرج وقد اهتم المستر فوج باعداد ما تحتاج اليه الفتاة من الملابس ومعدات السفر وذلك بعد ان قبلت ان تتوجه معه الى اوربا وكان قد تأمل الفرق الكائن بين الرجل والمرأة من حيث قوة النية والعزم ورأى ان من كان مثله يقدر ان يطوف الارض بجراب في يده ويصبر على احتمال المشاق بخلاف السيدة عائدة فانها لا تستطيع الصبر على الصلك ولا الثبات على المصاعب فكانت لذلك تشكره بكل جوارحها على جزيل فضله واعتنائه بها

وبعد ان تجولا برهة عاد الى الفندق فدخلت الفتاة حجرتها التماس الراحة وبقي المستر فوج غائصًا في مطالعة جرائد التيمس والايللوستراند لندن نيوز وقد فات الهجيع الاول من الليل وهو يقرأ ولم يبال بتغيب خادمه فانه كان عالمًا ان الباخرة لا تسافر الا في الغد وفي الصباح استدعى بخادمه فلم يجب فقرع له الجرس مرارًا فلم يحضر فظن انه نام في المدينة وانه ربما يلتقي به على رصيف المينا فاحتمل حقيبته وايقظ السيدة عائدة من نومها وخرج معها مركبا العجلة وسارت بهما الى رصيف المينا وكان

الوقت قد بلغ اذ ذاك حد الساعة الثامنة ونصف من الليل

وكان المستر موج مومّلا ان يلقى خادمه ويجد السفينة على اهبة المسير فلم يجد الخادم ولا السفينة لانها كانت قد سافرت في الليلة الماضية ولما خاب امله نظرت اليه السيدة عائدة بقلق فسكن خاطرها وقال لها

ــ لا تقلقي ما هذا الا امر عارض وما الامر العارض الا سحابة صيف لا تلبث ان تنقشع

وكان فيكس وراءها يرقبهما من غير انقطاع فتقدم الى المستر موج وبعد ان قام لديه بواجب التحية والسلام وجه اليه الكلام فقال

ــ لعلك يا مولاي مثلي قد حضرت بالامس على الباخرة رانجون

فاجابه

ــ نعم ولكني ما تشرفت بمشاهدتك فيها

ــ نظرني يا مولاي خادمك عليها

فسألته عائدة شلهفر

ــ واين هو

ــ لا علم لي يا مولاي عنه فربما يكون قد سافر على الباخرة ((كارناتيك)) التي اتمت تصليحاتها بالامس وسافرت بدون ان تشعر المسافرين بتغيير الاجل الذي صرتة لسفرها اولاً فانه كان يلزمني ان اسافر عليها والان قضى عليّ سفرها ان اتربص هنا مدة ثمانية ايام حتى يسافر البريد الثاني

ــ ونحن ايضاً كنا عاقدين العزيمة على ركوبها فتأخرنا مثلك .

فلما طرق اذني فيكس لفظ التأخر طفح فؤاده سروراً فضغط نفسه على الفوز بتأخير المستر موج في ثغر كون كون مدة ثمانية ايام طلب النفس ان يرد اليه في خلالها امر القبض عليه من لوندره

وبعد فترة من الزمان انطلق المستر موج بالفتاة عائدة واخذ يخطر على رصيف الميناء املاً بأن يعثر على باخرة تكون مسافرة الى يوكوهاما فتأخذه اليها

ولحقه فيكس خافق القلب تائه اللب يغالب الغم والكدر ويطلب من الله تعالى المعونة والمدد على ذهاب امال المستر موج ادراج الرياح

وطاف المستر موج مصحوباً بالفتاة

عائدة مدة ثلاث ساعات متواليات بدون ان يجد باخرة مسافرة الى يوكوهاما وبينما كان راجعاً بخفي حنين اقترب منهُ احد رؤساء السفن وبعد التحية قال له

ـ لعل مولاي يبحث على سفينة

ـ اصبت وهل لديك ما اطلب

ـ نعم لديَّ سفينة رقم عليها عدد ٤٣ تقطع في الساعة مسافة ثمانية ايام او تسعة اميال فتفضل وانظرها

فسار معهُ وبينما هما سائران سألهُ الرئيس

ـ اظنك تطلب النزه على ظهر البحر

ـ لا وانما اقصد السفر الى يوكوهاما

فوقف الرئيس موقف المذهل ثم حملق عينيه في المستر فوج وقال

ـ امازح انت بما تقول

ـ لا وكيف ظننت اني امزح فان اشغالي تقضي عليَّ ان اكون في يوكوهاما في ١٤ الشهر الجاري وقد فاتني امس الباخرة كارناتيك وسافرت على غير علم مني بسفرها

فلما سمع رئيس السفينة مقاله اعتذر اليه على كونه لا يستطيع ان يلبي طلبه ويسافر به الى يوكوهاما فقال له فوج

ـ اعطيك اجرة مائة ليرة عن كل ساعة واعطيك ايضاً جائزة قدرها ٢٠٠ ليرة اذا اسرعت في المسير ووصلت بي الى يوكوهاما في رابع عشر الشهر الحالي

فاضطرمت في نفس الرئيس نار الطمع فهرع الى مطلة تشرف على البحر ليرى هبوب الريح وبعد برهة وجيزة عاد وقال للمستر فوج

ـ ليس من الصواب يا مولاي ان القي نفسي وبدانك الكريمة وسفينتي وعمالها في مهاوي الاخطار طمعاً في المال فليس الخاطر محموداً ولو سلم فسفينتي صغيرة ولا تحمل اكثر من عشرين طناً والمسافة بين كون كون ويوكوهاما طويلة تبلغ الف وستمائة وخمسين ميلاً ونحن الان في فصل يكثر فيه هبوب العواصف والزوابع وهياج الامواج في قلب البحر العجاج وليس امامك يا مولاي سوى طريقتين فاما ان تسافر الى ناجاساكي التي تبعد من هناك الف ومائة ميل واما ان تذهب الى شنغاي التي تبعد ثمانمائة ميل فقط وهذا لا يخل بحسابك لان بريد امركا لا يسافر الى

سان فرنسيسكو من يوكوهاما مل من شعاني رأساً ويعرج في طريقه على ناجاسا كي ويوكوهاما فقال له المستروج

ـ هل انت متأكد ذلك

ـ نعم اني متأكده جداً

ـ ومتى يبارح البريد شنغاي

ـ في الساعة السابعة من مساء ١١ الشهر الحالي واذا خدمتنا الريح تمكنا من الوصول اليها في هذا الميعاد باذن الله

ـ ومتى تسافر

ـ بعد ساعة واحدة

ـ وانت صاحب السفينة

ـ نعم يا مولاي انا جان بوسي صاحب السفينة تانكادير

ـ اتريد عربوناً

ـ نعم اذا حسن لديك

ها ٢ ليرة

ثم التفت الى الوراء وقال للصاص فيكس اذا اردت السفر معنا فتفضل فقال له

ـ شكراً لمعروفك وجميلك ومتى الرحيل

ـ بعد نصف ساعة

وقلقت السيدة عائدة لغياب باسارتو فالتفتت الى المستروج وقالت له

كيف تترك باسارتو ولا تسأل عنه وتحت رحمة من تركه

سافعل لاجله ما يمكني ان اقوم به

قال هذا وانطلق معها الى مركز الضابطة فاعطى مأمور الشرطة علامات باسارتو وترك له عدد مبلغاً من النقود يكفي لنفقات سفره الى الاوطان ثم توجه الى القنصلية الفرنسوية فاعلم القنصل بما اجراه متعلقاً باسارتو وعاد الى الفندق ومنه الى الميناء وكانت السفينة تانكادير مستعدة اذ ذاك للسير

اما السفينة فباخرة صغيرة محمولها عشرون طناً محكمة الصنع طولاً وعرضاً سريعة السير تامة النظافة يلمع نحاسها كالشمس وسطحها ابيض كالعاج وهي ذات صاريين منحنيين قليلاً الى الوراء وكاملة المعدات من قلوع وحبال ومستهدفة الى الرياح من الوراء وقد حازت قصب السبق والجوائز العديدة في سرعة السير على سائر ما مثلها السفن

وتتألف هيئتها من صاحبها واربعة اشخاص آخرين اقوياء واشداء خبيرين في فن الملاحة عارفين بالطرق البحرية

والمسالك المؤدية الى الجهات المطلوبة
اما صاحب السفينة جان بوسي فهو رجل
ناهز الخمسين من العمر شديد البنية عالي
الهمة حاد النظر تلوح عليه مخائل الشجاعة
وعلائم الذكاء اسمر اللون من مؤثرات
الشمس اثناء الاسفار

ونزل المستر فوج والسيدة عائدة
الى السفينة فوجدا عليها البصاص فيكس
وبعد مبادلته التحية سارول جميعًا الى غرفة
في مؤخر السفينة مربعة الزوايا نقشت
جدرانها بنقوش مستديرة وفيها مقعد
الجلوس وفي وسطها مائدة فوقها مصباح
صغير . وريثما استقر بهم المقام التفت المستر
فوج الى فيكس وقال له

ـ اعذر يا صاحبي بما الجود الا من
الموجود

ـ فطأطأ له فيكس رأسه احتشامًا
ثم قال في نفسه

ـ يا لك من لص توفرت فيه شروط
الاداب

وفي نحو الساعة الثالثة والدقيقة ١٠
نشرت اشرعة السفينة وخفق فوقها العلم
الانكليزي فسارت والريح تحدوها وقبل
مسيرها حانت من المستر فوج والسيدة
عائدة التفاتة نحو البر ليروا ما اذا كان
باسبارتو على الرصيف فيستدعون به
ولحسن طالع فيكس لم يكن باسبارتو في
الجهة التي التفت اليها فوج وعائدة

وما لبثت السفينة بعد ذلك ان
ثارت عليها الريح فسارت تشق العباب
باسم الله مجراها

الفصل الحادي والعشرون

كيف ان صاحب الباخرة تانكادير
خاطر بنفسه طمعًا بجائزة مائتي ليرة

وكانت هذه السفرة محفوفة بالمصاعب
والاخطار محدقة بها من كل جانب
خصوصًا وان السفينة صغيرة وحمولها
٢ طنًا وامامها مسافة ثمانمائة ميل تجتازها
في فصل يشتد فيه هياج بحر الصين
وازدياده مع تعادل الليل والنهار في
شهر نوفمبر

وقد كان الاجدر بصاحب تانكادير
ان يذهب بركاب سفينته الى يوكوهاما لان
سفينته مأجورة بالمياومة ويقدر ايام السفر

يتناول الاجرة الا ان الغفلة ارخت على عقله برقع الجهل فلم يسلك طريق الكسب والانتفاع شأن من لا يفرق بين النفع والضرر او بين الحلو والمر فاقتصر على السفر الى شغلي دون سواها وربما كان مصيباً في عدم انقياده للطمع ولكن سفينته كانت طافية فوق الماء كالعشب الاخضر

وقد قضت السفينة في اخبار بوعار كون كون بقية اليوم الذي سافرت فيه وكانت حركة سيرها سريعة ولما دنت من سطح البحر استدعى المستر فوج بصاحبها وقال له

— اعلم اني قد شدت قصور آمالي على همتك وعقدت نواصي الاماني على عظائم حدك واجتهادك فلا تخيب فيك رجائي فانهب البحر في السير نهباً وطر بسفينتك فاجابه

— مولاي ساخلص لك الخدمة واسير السفينة على قدر ما تسمح به حالة الريح وزيادة

— وكان فوج وفتئذ ينظر الى البحر متأملاً تلاعب الامواج فيه وكانت السيدة عائدة جالسة وراءه تتفرس في الاوقيانوس فيرتعش قلبها وتنظر الى السماء فترى فوق رأسها اشرعة بيضاء تحقق خفوق الفؤاد الولهان من حر نار الهجران

واقبل الليل فنشر فوق الافق خيام الظلام ثم لاح البدر فتجلى في كبد السماء وانار ظلمات الفضاء ولكن نوره كان ضعيفاً لانه كان في المنزلة الاولى من لياليه ثم اختفى عاجلاً وراء الشفق اختفاء البرق بعد وميضه

واعد صاحب السفينة المصابيح وعلقها على حبال السفينة موقدة فانارت طريق السفينة تفادياً من الاصطدام

وكان فيكس ملازماً للعزلة طالباً الانفراد معتصماً بالسكوت علماً منه بأن المستر فوج قليل الملاقات والصلات يأبى قتل الاوقات في قص القصص والحكايات ولو مهما كان موضوعها جليلاً

وكان قد امتعض من اسراع السفينة في المسير لانه موافق لرغائب فوج فاجاها ان فهي او سيري الهوينا ولم يكن يرتاب في تقاعس رجل الرحلة عن المسير متى بلغ يوكوهاما بل كان واثقاً بمبارحته لها على الفور وتوجهه الى سان فرنسيسكو

فقطاً قد ٤ ارض امركا فيخلو له الجو فيبص ويصعر راملاً بجلل الماء حارا مطارف الصعاء وقد طاف ثلاثة ارباع الكرة ليبلغها ناعم البال لا يلقى في طريقه عونا بخلاف ما لو حادها عن طريق الولايات المتحدة فتحدق به الانظار ولا يتمكن من الفرار وقد حتم فيكس على نفسه الا يفارقة ابان سار والا يبتعد عنه مسافة قاب قوسين مخافة أن يتوارى عن العين وقد حمد الله على اتصال حاشيه باسارتو عنه وتعال بافتراقه عنة خيرًا

وقد كان غياب باسارتو لدى سيده والسيدة عائدة باعثًا على القلق والارق فصرفا قسمًا من الليل في التفكر بشأنه وتخمين الحالة التي صار اليها وما سكن جاشهما من قبله الا حين رجح لديهما امكان سفره على الباخرة كارناتيك الى يوكوهاما حيث علا الامل بلقائه

ومـا حلت الساعة العاشرة حتى عصفت الريح فنفخت اشرعة السفينة وزادت مسيرها بما حمل صاحبها على الخوف عليها من عدوات الامواج فاهتم لدلك باتخاد الطرق والتدابير لوقايتها

وبعد منتصف الليل انطلق المستر فوج والسيدة عائدة الى الغرفة التماس الرقاد وتبعها فيكس للغاية نفسها وبات الربان وملاحوه مكتحلين بالسهاد يرعون نجوم الليل ويرقبون هياج البحر واستمروا كذلك الى ان انبلج الصبح وتجلت الغزالة باشعة انوارها الساطعة وكانت السفينة قد اجتازت اكثر من مائة ميل بمعدل سيرها من ثمانية الى تسعة اميال في الساعة (حسب ارشاد الاسلاك المصوبة في البحر للدلالة على القياس) بحيث اذا لبثت الريح تخدم السفينة على هذا المنوال بلغ المستر فوج مرامه وادرك صاحب السفينة مراده ونال الجائزة التي وعد بها

وبعد الظهر سكنت الريح مدة ساعتين ثم ثارت وابتدأت الهبوب من ناحية الجنوب

وكان المستر فوج والسيدة عائدة ياكلان بشاهية عظيمة وما ذلك الا لجودة هواء البحر وبينما كانا يتناولان بعض الماكول كالخبز السكري وغيره دعيا فيكس لتناول الطعـام معهما فاجاب الدعوة شاكرًا ثم تناول شيئًا يسيرًا باطراف بنانه

وامسك عن الاكل لانهُ كان قد استصعب ان يسافر على نفقة المستر فوج وبعد من غدائه ثم بحونه متى تمكن من القبض عليه وبعد الفراغ من تناول الطعام خطر لفيكس ان ينفرد بالمستر فوج فانفرد به وقال له

ــ مولاي . لقد تكرمت عليّ وانا شاكر لفضلك ذاكر لجميل لطفك وانما الان فالظروف لا تسمح لي ان اقابل فضلك بمثله فاعذر واسمح لي ان ادفع ما يصيبني من النفقة فاجابه فوج

ــ لا شيء يستحق الذكر لاني دعوتك فقبلت دعوتي واحسنت فشكري لك واجب وثنائي عليك ضربة لازب

فمني لسان فيكس عند هذا الجواب بالخرس ثم سار الى مقدم السفينة وصرف نهارهُ بدون ان ينطق بكلمة

وفي مدى ذلك اليوم تقدم الرئيس جون للمستر فوج دفعات متوالية فكان في كل دفعة يبشره بلوغ ارب الوصول الى شنغاي في الاجل المضروب

ولا تسل عن خدمة السفينة فانهم كانوا باذلين الجهد في تسيير السفينة بأوفر سرعة املاً في الحصول على الجائزة المعهودة وكلما مرّت دقيقة كان يتفقد الحبال ويشدها ويعرض الاشرعة للرياح وعند المساء علم الربان من اسلاك القياس في الماء ان السفينة قطعت منذ مبارحتها هنكون كون مسافة مائتين وعشرين ميلاً

وقد تفاءل المستر فوج خيراً من سير السفينة بهذه السرعة وايقن انه يبلغ يوكوهاما بدون تقديم او تاخير رقمه في جريدة رحلته

وفي نحو نصف ذلك الليل دخلت السفينة بوغاز فوكيان الذي يفصل جزيرة فورمور عن حدود الصين في منتهى دائرة الانقلاب وكان البحر مزبداً في ذلك البوغاز والامواج تتلاعب بالسفينة فتميل بها ذات اليمين وذات اليسار بحيث لا يستطيع من يكون عليها ان يلبث واقفاً على ظهرها

وعند الصباح سكنت الريح فبين الرئيس تغيراً في الهواء وتبديلاً في الجو فعمد في الحال الى ميزان الوقت ليستعلم منهُ عن العوارض الجوية فوجد في حركته اليومية غير الدقة الاعتيادية اذ رأى فيه

ارتجاجاً عظيماً في الزئبق فحوّل عنه النظر الى البحر فرأى على ظهره هياجاً وفي قلبه اضطراباً بادياً من الجهة الجنوبية الشرقيه ورأى اشتداداً في الامواج وتجمعاً استدل منها على قرب هبوب عاصفة شديدة فان الشمس بالامس كانت قد غربت وراء سحابة حمراء في وسط لمعان فوسفوريك الاوقيانوس

— فساء الرئيس تبدل الهواء وانقلاب الريح على سفينته شر انقلاب فصرف باسنانه وقذف من فمها الفاظاً سمعته الاذان وما وعته الاذهان ثم تقدم الى المستر فوج وقال له

— مولاي لقد انقلبت الريح علينا واخذت تعاكسنا في المسير وامامنا على ظهر البحر زوبعة شديدة

فقال فوج

— ومن اين مصدرها . امن الشمال ام من الجنوب

— فاجاب الربان

— من الشمال وقد رأيتها تتجمع كجيش يستأنف القتال بعد طول النزال

فاجابه فوج

— اهلاً بالزوبعة الشمالية فانها تدفعنا الى الامام

فقال الرئيس

— اذا كنت ترحب بالريح المعاكسة لنا فما عليَّ سوى ان اتأهل بها على الرحب والسعة

قال المؤلف — اما الزوابع في بداية هذا الفصل من العام فتمر فوق البحار باسرع من لمح البصر وتعدو الى العقق انحدار الاشعة الكهربائية الى الارض او انحدار الشهب وانقذافها وقد يخشى من شدة هبوبها في فصل تعادل الليل والنهار فانها تكون اشد وطأة فيه من اشتدادها في غير اوقات

ودفعاً لوثبات الريح عن السفينة وخوفاً من ان ترجها العاصفة في اعماق اليم طوى الرئيس قلوعها ما خلا قلع واحد صغير مثلث الشكل ابقاه منشوراً حفظاً للسفينة من التأخر الى الوراء ثم خفض الصواري وجعل لوحاً فوقها كغطاء لها لئلا تنفذ اليها المياه وجملة القول انه لم يدع وسيلة الا استخدمها في سبيل وقايتها وقد حظر على المسافرين الخروج

من غرفتهم لئلا يروعهم منظر الزوبعة الهائل وبما ان الغرفة كانت ضيقة الجوانب وقليلة الهواء ابى المسافرون ان يمتثلوا لاشارة الربان فلبثوا جالسين على ظهر السفينة

وبعد الساعة الثامنة اشرأبت اعناقهم الى السماء فرأوا الجو مظلماً والغيوم سوداء والغيث يهمي وابلاً متدفقاً كافواه القرب وقد هبت العاصفة وجلجلت الرعود القاصفة ولمعت سيوف البرق على صفحات الافق فطارت السفينة بغير جناح من شدة الرياح وارتفعت في الفضاء ارتفاع الريشة في مهب الريح واذا قلنا انها كانت سائرة باسرع من سير سفينة تجارية باربعة اضعاف نكون قد بخسناها حقها

وقد لبثت طول النهار سائرة نحو الجنوب ومن شدة تضييق العاصفة عليها اوشكت على الغرق بيفاً وعشرين مرة ولولا حذق رئيسها وادارته للدفة بمزيد الدربة والانتباه لغرقت وراح فوج وعائدة وفيكس فريسة الاسماك

وكانت المياه ترتفع فوق السفينة جبالاً شامخة حتى انخلع من هولها قلب فيكس خوفاً وارتعدت فرائصه رعبة وجزعاً اما عائدة فكانت تحاول اخفاء خوفها وتظهر البسالة والثبات وترمي المستر فوج بلحظ الانتقاد فلا ترى منه غير الرصانة وقلة الاكتراث بهياج البحر كأنه لم يكن لديه امراً ذا بال

وما برحت السفينة سائرة مع طيار العاصفة والرعد يهدر والمطر يهمع والبرق يلمع حتى اشرفت في صباح ١١ الشهر على بقعة من الارضين تبعد عن مدينة شنغاي مائة ميل بعد ان اشرفت على الغرق مراراً

وما بقي على السفينة بعد وصولها الى تلك البقعة الا ان تقطع المسافة الباقية في مدة ذلك اليوم فنشر الرئيس الاشرعة ورفع الصواري وشد الحبال واطلق للسفينة العنان فسارت كما تشاء الريح لا كما يحب حتى صارت عند الظهر على بعد اربعين ميلاً من شنغاي وهي مسافة تستطيع ان تجتازها في ست ساعات من الزمان

على ان هذه المدة كانت بمثابة ايام واعوام لدى الرئيس ونوتية السفينة وقد

تمول ان يقطعوها سفينتهم طبرًا لو استطاعوا وذلك خوفًا من تاخر وصولهم الى المدينة عن الاجل المضروب فيضيعوا جائزة المائتي جنيه التي وعدوا بها والحق يقال انهم ما تركوا وسيلة اثناء السفر الا عمدوا الى استخدامها تسييرًا للسفينة بالسرعة المطلوبة حتى انالم يدركوا الرغائب يكون ذلك من نكد الطالع وليس في الامر من توان واهمال

وعند الساعة السادسة صارت السفينة على بعد عشرة اميال من مينا المدينة وحلت الساعة السابعة وهي على بعد ثلثة اميال فحينئذٍ فقد الربان الصبر والجلد وتولاه اليأس والقنوط فقطع الرجاء من بلوغ المراد وقد نظر الى السماء فرأى وجهها قد غشيه دخان حالك السواد ففغر فاه وقذف منه الشتائم والتجاديف وسأله المستر فوج عن سبب كدره وغيظه فاجابه أن البريد اقلع الان من شنغاي فانظر الى دخان السفينة فقال له فوج ارفعوا الاشارات وراية الاستغاثة والضيق فلعلها ترى ذلك فتقف لاستطلاع الخبر ففعل الربان ما اوعز اليه فوج فعله ولكنه لم يأت بفائدة واخيرًا اطلق مدفعًا كان في مقدم السفينة فراح دويه مع الهواء ودون أن يترتب عليه نفع ما

الفصل الثاني والعشرون

كيف ان باسبارتو احس بضرورة الدينار في تلك الديار

في الساعة السادسة ونصف من مساء سابع نوفمبر غادرت الباخرة كارناتيك مياه كون كون وسارت على اجنحة البخار تشق قلب البحار قاصدة جهات اليابان وفيها كمية وافرة من الارزاق وعليها عدد عديد من الركاب صاقت دونه غرفها وفسحاتها ما عدا حجرتين كانتا برسم فيلاس فوج والسيدة عائدة

وعند الصباح خرج باسارتو من غرفته الكائنة في الدرجة الثانية وخرق صفوف الجموع حتى وصل الى مقعد جلس عليه وكانت قدماه ترتجفان وعيناه زائغتين ورأسه مستلقٍ الى الوراء فاندهل الركاب من حالته وشدة كربته واخذت بعضهم الشفقة عليه ومنهم من سخروا به وضحكوا منه

واني الزم لك ايها القارئ جانب الايجاز في الكلام واتلو عليك ما وقع لباسارتو حتى انه بات على تلك الحالة

مرّ بنا الكلام ان اللصاص فيكس بعد ان حمل باسارتو على الاكثار من شرب الخمرة حتى كاد يغيب عن الحواس ناوله غليوناً من الافيون فتعاطاه الى ان اندس في رأسه سم معموله القتال فخر على الارض صريعاً فاقد الرشد والادراك

ومضى عليه ثلاث ساعات طوال وهو على هذه الحال من الاغماء ثم افاق قليلاً فرأى نفسه على سرير من العاج بين اقوام لم يبق الافيون فيهم ولم يدر بمجل من حالته وتذكر الباخرة كارناتيك فنهض من مكانه وحاول المسير وما زال بين نهوض وسقوط وقيام وقعود حتى خرج الى ما خارج الحانة فصرخ ((كارناتيك)) ((كارناتيك))

قال المؤلف وكانت السفينة راسية على مقربة من الحانة التي كان باسارتو واقعاً امامها وكانت اذ ذاك على اهبة السفر فنشط باسارتو للذهاب اليها ولا نعلم باي طريقة بلغها فانطرح على ظهرها اذ انه كان لا يستطيع نقل قدميه ولا يعي شيئاً

فلما رآه عمال السفينة على تلك الحالة احملوه الى غرفته الكائنة في الدرجة الثانية فرقد فيها ولم يستيقظ من رقاده الا في الغد اي بعد ان ابعدت السفينة عن كون كون مسافة مائة وخمسين ميلاً

هذا ما مرّ على باسبارتو الى الصباح الذي خرج فيه من غرفته كما تقدم القول الى ظهر السفينة وجلس على متكاه وطفق يتذكر ما حدث بينه وبين فيكس في تلك الحانة ويخاطب نفسه قائلاً

— ما اقبح السكر وما اوخم عواقبه فانه يضر بصحة الابدان ويحط من شأن كل انسان ويلحق بمرتكبه العار والشنار والهوان والاحتقار ويا ترى ماذا عسى ان يقول مولاي ولكن ((لا تكرهوا شيئاً لعله خير لكم)) فهذه امثولة استخدم نفعها مدى العمر واما فيكس الذي حاول ان يعرقني عن مولاي بما فعله معي من الامور المنكرة فقد رد الله كيده في نحره وسهل لي سبيل الحضور الى ظهر الباخرة قبل سفرها وانقذني من شر ذلك

اللعين فيكس الذي لا اشك في كونه اتى الى الباخرة لكونه صاربما رأيته منه في حالة لايجسر بها ان يريني وجهه المقوت ولكن هل من الصواب ان اعلم مولاي بما وقع لي معه اوبما كان في نيتو ان يجريه اضرارًا بي فكيف هويقتفي اثرنا ومانية محة فلا لا . فلربما اكدر منه الخاطر وارجع منه البال فالاوفق والافضل ان اطلعه على هذا جميعه متى وصلنا بالسلامة الى لوندره فانه لاشك يضحك من جراء ذلك حتى يستلقي على قفاه واما الان فمن الواجب ان امثل بين يديهِ واعتذر له عن سوء سلوكي واقول له اني تبت الى الله فان الله تواب كريم

ثم قام لساعته وانطلق الى حجرة مولاه في موخر الباخرة وهو في حالة لا توصف من الجزع والاستحياء لا يعرفها الا من يعانيها او يقع في مثلها ولما وصل اليها لم يجرأ ان يقرعها بل وقف شاخصاً الى بابها ينتظر انتظار المتهم لقضاء الحاكم . واستمر كذلك وقتاً طويلاً الى ان اندفع الى الباب فقرعهُ فلم يجبه احد من داخله فظن ان مولاه علم انهُ هو قارع الباب فلم يفتحه لغيظه منه وسخطه عليه فاوشك ان يقع على الارض غائبًا عن الصواب ولكنهُ تجلد فسكن جاشه وكرر قرع الباب ثم فتحه فلم يجد مولاه من داخله فخطر له انه ربما يكون قد لقي اناساً على شاكلتهِ مغرمين بلعب الويست فراح يقتل الاوقات معهم بهذا اللهو وظن ايضاً انهُ ربما كانت السيدة عائدة لم تفق من نومها حتى الساعة فانطلق الى قاعة السفينة الكبرى فلم يرَ مولاه فيهـا فقصد فرّاش الباخرة يسأله عن مولاه فاجابه انهُ لا يعرفه فقال له ان مولاي طويل القامة اشقر اللحية قليل العلاقات بالغير تصحبه فتاة حسناء وهو يعرف باسم المستر فوج فاجابه الفرّاش لم اعرف هذا الاسم بين الركاب كما انهُ لا يوجد عندنا رجل تصحبه فتاة حسناء او شمطاء وهاك دفتر اسماء المسافرين فانظر فيه ما اذا كان لمولاك اسم بين ركاب السفينة

فتناول باسبارتو الدفتر بيديه واخذ يقرأه ويكرر قراءته فلم يعثر على اسم مولاه فيهِ فتوهم ان السفينة ربما لم تكن نفس السفينة المعروفة باسم كارناتيك المسافرة

الى يوكوهاما فسأل الفرَّاش بقوله

— ما اسم السفينة

— كارناتيك

— والى اين ذاهبة

— الى يوكوهاما

فلما تحقق باسارتو عدم وجود مولاه في السفينة اطرق في الارض وتذكر ان كارناتيك اقلعت قبل الميعاد الذي تحدد لسفرها وان ليس لمولاه علم بذلك فلام نفسه حتى سقط على الارض مغشياً عليه

وبعد مدة افاق من غشيانه وطفق يندب سوء حظه وينتف شعور رأسه ندماً على ما جناه على نفسه ويلطم خديه ويرفس برجليه ويتوعد فيكس بالموت الزؤام اذا وقع بين يديه ولعمري ان اقلام افصح الكتاب لتعجز عن شرح حالة باسارتو وما استحوذ عليه من الغم عند ما علم بعظم خطائه وما سيلحق بمولاه من الخسارة بسببه وبعد ان قضى حيناً من الزمان مستسلماً للحزن مستهدفاً للكروب عاد الى الصواب وتأمل الحالة التي وصل اليها ولم يكن يحسد عليها احد يبكي بكاء مرّاً ويرسل الدمع من عينيه سيلاً عرمرماً على سوء مسيره وشؤم مصيره فانه كان سائرًا الى اليابان صفر اليدين لا يملك درهما ولا يعرف فيها احدًا من الناس

وفي غلس الثالث عشر من الشهر السابق الذكر دخلت السفينة (كارناتيك) مينا يوكوهاما المعدودة من مين الباسيفيك والمعروفة مرسى لجميع البابورات القائمة بخدمة البرد بين امركا الشمالية والصين واليابان وجزائر ما ليزيا اما موقعها ففي جون يادرّو وهي اعظم مدائن مملكة اليابان وقد كانت كرسي الملك على عهد الملك كايكون قريبة من المدينة الشهيرة مياكو التي يقطنها الملك الروحاني ميكادو الذي يعتقد به اليابانيون منزلاً من السماء

ورست ((كارناتيك)) بالقرب من رصيف يوكوهاما وقبالة الجمرك ومخازنه وفي وسط سفن كثيرة تخفق فوقها اعلام جميع الدول

وبعد رسوها خرج باسارتو الى البر واندفع هائمًا في مسالك المدينة هيام عين الناظر باذهش المناظر وسار في طرق لا يعرفها لغاية لا يدركها حائر الفكر

شارد العقل مسلوب اللب مخطوف الصواب يظن نفسه في منام وما يسمعهُ اضغاث احلام وبعد ان طاف الشوارع ومرّت على انظاره مشاهد مدهشة اخذ يتنقل في حارات المدينة مستسلمًا للتقادير واستمر كذلك حتى ساقته التقادير الى الحارة اليابانية المعروفة عند سكان يوكوهاما بحارة نتين (الاهة البحار التي يعبدها اهل الجزائر المجاورة) فطاف جوانبها حتى مرَّ تحت دهاليز كثيرة قائمة من خشب الصنوبر والارز ووصل الى ما امام هياكل عظيمة ذات ابواب مزخرفة بانقاش بديع تأخذ بمجامع الانظار فرأى في بعض زواياهــا قومًا من كهنة البوذيين التابعين لديانة كونفشيوس اما الهياكل فتفياء ظلال اشجار من الارز قديمة العهد فوقف باسارتو فترة من الزمان ينظر الى الهياكل والاشجار ثم سار في طريق طويلة يكاد ان لا يكون لها حد فرأى فيها زمرًا وجماعات من صبيان ورجال قصيري القامة محمري الوجوه مورّدي الوجنتين يمشون في تلك الطريق مرحًا بين كلاب قصار السافين طوال الشعور مقطوعي الاذناب بألعون المارّة

وكانت تلك الطريق موصلة الى المدينة يطرقها المارّة ذهابًا وايابًا من غير انقطاع وقد رأى فيها باسارتو حفلات زفاف وكهنة يضربون الطبول وجنودًا من حرس الجمارك تقبع مرصعة تصبغ اللك يتقلد كل منهم سيفين ورأى فيها ايضًا جنودًا لابسين اردية زرقاء من المسوجات القطنية عليها شريط ابيض ومتقلدين البنادق ورجالاً آتين من مدينة ميكادو مدججين بالسلاح وعلى رؤوسهم دروع حديدية ورأى جنودًا من جميع الصفوف والدرجات العسكرية لان وظيفة الجندي عند اليابانيين وظيفة شريفة يتسابق اليها الناس بخلاف الصينيين فانهم يحتقرونها احتقارًا شديدًا) ورأى رهبانًا يجمعون الاحسان وغرباء باردية طويلة ومدنيين بشعر مصقول حالك كالليل ورؤوس ضخمة مستديرة وقدود رشيقة نحيلة واجساد رقيقة ووجوه بلون النحاس ليس فيها احمرار بخلاف وجوه الصينيين

ولمح باسارتو في تلك الطريق عربات ومركبات وهوادج وخيولاً وحمالين

ونسوة ينتعلنَ احذية مصوغة من القش وقباقيب خشبية وعليهنَّ اردية من الحرير الاصفر نشريط من الحرير ايضاً ويشدون وسطهنَّ نشرائط مسترخية الى الوراء بأمن عبر محبوكة (وقد اتخذت النساء الاوربيات هذا الزي عن النساء اليابانيات)

وقضى باسبارتو زماناً في اختراق صفوف اولئك الجموع ويرمي كلاً منهم بنظره حتى وصل الى شارع يدهش منظره الابصار ويسحر الالباب بما في دكاكينه ومخازنه من اللؤلؤ والمرجان والماس وغير ذلك من الحجارة الكريمة واصناف الحلى والمجوهرات وكان بالقرب من هذه الدكاكين حانات وقهاو للشاي والدخان الجيد ولا اثر فيها للافيون

وما تقدم باسبارتو طائفاً بين هذه الحوانيت والحانات حتى بلغ منتهى الشارع واشرف على حقل كساه الربيع حللاً خضراء وشمخت فيه باسقات الاشجار المكللة بالازهار اليانعة الاثمار كالكرز والخوخ والتفاح التي يتفاخر الوطنيون بازهارها لا بثمارها التي لا يذوقونها وهم شديدو الحرص على ازهار هذه الاشجار يقيمون عليها خفراء من تماثيل خشبية يصنعونها

وبينما كان باسبارتو جائلاً في وسط الحقل اذ عثر بين اعشابه على نباتٍ من البنفسج فقال في ذاته • ويرزقكم من حيث لا تعلمون • ان هذا النبات يصلح اليوم لان يكون غداء لي ولما ان اشتمَّ رائحته ولم يجد فيه رائحة البنفسج قال اعوذ بالله من اول نجم السعد

وكان باسبارتو قد تناول الطعام في صباح ذلك اليوم على مائدة الباخرة كارناتيك بشراهة فائقة الحد علماً منهُ بانهُ سيقضي النهار بدون اكل ولكنَّ معدته لم تلبث ان هضمت كل ما كان قد اكلهُ بطوافه المستمر في شوارع المدينة وطرقها

وعندما كان يجول في الاسواق كان يدقق النظر فيما اذا كان في الدكاكين لحوم ضأنٍ او معز او خنازير فلم يجد شيئاً من ذلك لان اللحم نادر الوجود في اليابان وقد حظر فيها نحر الثيران اعتقاد انها خلقت لحراثة الارض فكان اهلها لذلك يتغذون بلحوم حيتان البحار وطيور الغاب ووحوش القفار

وبعد المساء عاد ماسارتو الى المدينة شارداً في طرقاتها المزينة بالمصابيح والانوار معرجاً على مضارب العاب الصراع وابنية المحبين الغاصة بالمتفرجين واستمر كذلك الى ان بلغ شاطئ البحر فرأى هناك عدداً من الصيادين يطرحون شباكهم في قعر البحر لصيد الاسماك ويستضيئون بانوار موقدة من خشب الصنوبر

وبعد الهجيع الاخير من الليل تفرقت الجموع وخلت المدينة من الضوضاء وانتشر الحرس العسكري (عسس الليل) في ارباضها يحافظ على الاعناق والارزاق

- - - - - - -

الفصل الثالث والعشرون

عسى الكرب الذي امسيت فيه
يكون وراءهُ فرجٌ قريبُ

وقضى ماسارتو ليلته متقلباً على جمر كدرٍ احر من جمر الغضا ويقاسي الم الجوع وعلة الظماء حتى زهقت منهُ النفس وكادت تبلغ التراقي فقال في ذاته يا ليتني كنت تراباً وما اشرقت شمس النهار حتى نهض من مضجعهِ وجلس يفكر فيما يسد بهِ جوعه فخطر لهُ ان يبيع ساعة جيبه تخلصاً من خطر الموت جوعاً ولكن شق عليهِ الامر واستصعب عليه النجاة سبع الساعة ثم اخذ يحدث نفسه فقال

وهوّن عليك فان الامو
رَ بكف الله مقاديرها

وبعد ذلك عزم ان يسعى في طلب الرزق بممارسة مهنته القديمة وهي انشاد الاغاني على قارعة الطرق فيطرب برخيم صوته ويشنف الآذان بشجي انغامه وما يتيح لهُ القدر من الكسب يبذله في سبيل سد عوزه ولكنهُ رأى ان ملابسه تضر بمصلحته اذا ظهر بمظهره الجديد بتلاوة الاناشيد في اندية اليابان الذين يميلون كل الميل الى سماع الالحان ويقبلون عليها اقبال الظماء على موارد الماء فعمد لذلك الى تغيير ثوبه بثوب ادنى قيمةً واقل رونقاً وبعد مزيد التأمل لقي تاجراً يتجر بجميع الاصناف فعرض عليه ثوبه بغية استبداله فقبلهُ منه بطيب الخاطر واعطاه ثوباً على الزي الياباني وكان رثاً قذراً ودفع اليه فرق الثمن عدداً قليلاً من الدنانير فاخذ ماسارتو الثوب والدنانير وانطلق على الفور

في طلب الطعام فدخل حانوتاً واكل فيه من لحوم الطيور والارز ما اشبعهُ ثم شربَ حتى ارتوى فعاد بعد ذلك الى التأمل في مستقبلهِ فقال في ذاته — اما الان وقد شبعت وارتويت فلا يليق بي ان اطوف في ارض مملكة ابن السماء طوفان الحائم حول الماء بل الاجدر بي ان ابارح هذه الديار خوفاً من الويل والدمار ومتى اجتزت مسافة اربعة الاف وسبعمائة ميل على ظهر البحار ووصلت الى سان فرنسيسكو يفرجها عليَّ خالق الليل ومبدع النهار وللحال نهض وسار الى جهة البحر مستعلماً عن البواخر المسافرة الى امركا حتى اذا عثر على واحدةٍ منها عرَض نفسه الى ربانها لعلهُ يقبلهُ فيها بصفة خادم او طباخ يشتغل بدون اجرة حتى يبلغ سان فرنسيسكو ولكن ما لبث ان خطاء هذا التصور محتجاً عليه بقوله — اية سفينة مستعدة للاسفار تحتاج خداماً وعمالاً وان فرضنا المحال واحتاجت سفينة ما الى خادم فهل يتقيد بخدمتها كل من يعرض نفسهُ عليها بدون كتاب توصية او شهادة تدل على سابق خدمته وحسن استقامته

وبينما كان سائراً في طريقه تتجاذبهُ عوامل الافكار اذا به رأى رجلاً قروياً يطوف باعلانٍ انكليزي العبارة وهذه ترجمتهُ

الجوق الياباني

برئاسة ويليام باتولكار

الليالي الاخيرة من التشخيص

قبل مُبارحة الجوق ثغر يوكاهاما الى الولايات المتحدة الامركانية

رواية الانوف الطويلة الانوف الطويلة باستدعاء الاله طيجو

ويتلو التشخيص مناظر تدهش العقول وتسر الخواطر

فتبع باسارتو ذاك القروي وسار وراءهُ طائفاً اعظم شوارع المدينة حتى ادت بالاثنين خاتمة المطاف الى دارٍ فسيحة الجوانب تخفق حولها الرايات الواناً وعلى جدرانها الداخلية نقوش ورسوم

وصور بعض المشعوذين مرسومة بلون بنفسجي وكانت تلك الديار مسكنًا لباتولكار مدير جوق المشعوذين والقرويين والعاب تمرين الابدان جمناستيك. فولج باسارتو باب الرواق الخارجي من الدار والتمس مقابلة المستر باتولكار فحضر اليهِ وسألهُ عما يبتغيه فاجابهُ باسارتو بذلٍ وقلبٍ مكسر

— ألست محتاجًا الى خادم امين يرضى لرضاك ويغضب لغضبك يصافي احبابك ويعادي اعداءك

فقال لهُ باتولكار

— لديّ خادمان قائمان بفروض خدمتي حق قيام ولا يكلفاني غير الطعام وهما

قال هذا واراهُ ذراعيه القويين النافرة منها العروق كالحبال فقال لهُ باسارتو

— اود من صميم الفواد ان اسافر معك

— من اي جنسية انت

— من الجنسية الفرنسوية

— ولماذا انت متزي بالزي الياباني

— بذا قضت الايام

— أأنت باريزي

— نعم

— هل تعرف ان تعوّج وجهك وتكشر انيابك

— نحن معشر الفرنسويين ما اخللفنا فيما تقول عن الامركان

— يمكنني ان استخدمك عندي بوظيفة (مُضحك) فهل لك بضروب الغناء المام

— في غاية ما يرام

— فانت منذ الان في خدمتي

فبعد ذلك دخل باسبارتو الى دار المستر باتولكار واندرج في سلك المشخصين يتأمل مناظرهم ويضحك من ملابسهم

وقد كان موعد التشخيص في دار باتولكار في الساعة الثالثة من النهار وقبل حلول الاجل بزمن قليل تقاطرت الجموع من الاوربين والصينيين واليابانيين من رجال ونساء واطفال يشاهدون غرائب التشخيص وبدائع التمثيل واتقان ضروب الالحان ويشفون الاذان باستماع عزف الات الطرب واصوات الصنوج والطبول

وما حلت الساعة الثالثة المذكورة حتى ضاقت فسحات الدار المعلومة على سعتها بمن وفد عليها من المتفرجين تخطر في وسطهم ربات الجمال

كالورد خداً والهلال تباعداً
والظبي جيداً والقضيب تأودا

ويتمايلن تمايل الاغصان فشخصت اليهنّ الاحداق وتطاولت الى مقاماتهن الاعناق فارسلن اسهم مقلهن الى قلوب العشاق وقد كان

بين السيوف المرهفات ولحظها
عهدٌ على سفك الدماء وموثقُ

ويحق للقلوب ان تهوى تلك الحسان وقد فقنَ الحور نحوراً والخيزران خصوراً وخطرنَ اغصاناً ولحن بدورا وفسنَ تيهاً وعجباً واكتحلنَ فتورا وملنَ فارخينَ على الخصور شعورا ثم توارينَ عن العيان بعد هذا الدلال فدخلنَ الى قاعة خصصت لذوات الخدور فرافقتهن قلوب اهل الغرام

وبعد ان اكتمل الجمع استوى عازفو الالات على كراسيهم فشدوا الاوتار ونفخوا بالمزمار وضربوا الطبول وقرعوا الصنوج ثم رفعت الستارة وشرع في تمثيل الدور الاول من رواية الانوف الطويلة وهي رواية تأخذ بمجامع العقول

وبرز المشخصون الى وسط المرسح فسحروا الالباب برشيق الحركات وحسن الالقاء وادهشوا الانظار بسريع المشاهد واختلاف المناظر فانهم ظهروا بملابس الابطال في ساحات القتال ثم تبدوا باسلحةٍ عريضة مسترسلة الى الاكتاف وانوفٍ من الخيزران طولها من خمس الى عشر اقدام بعضها معوج وبعضها مستقيم وظهر اثنا عشر شخصاً يختشون تحت الاسلحة ولا يرى منهم سوى انوفهم وقومٌ يدنون منها ويضربون عليها بقوة وعزم ثم يجتمع جمهور المشخصين ويدورون في وسط المرسح فيرقصون ويعقدون وينهضون آتين بضروب الهزل في معرض الجد بما سرَّت به الخواطر وقرت به النواظر

وفي الدور الثاني اندمج باسبارتو في سلك اللاعبين فارتدى بملابسهم وعندما شرعوا في الالعاب استلقى فريق منهم على الظهور ورفعوا انوفهم نحو السماء ثم جاءت فرقة من المتوازنين (ايكيلبريست)

فوقفت على ذيول طويلة وأتت فرقة اخرى فوقفت على اكتافهم وتلاها فرقة رابعة ثم قام على انوفهم الطويلة صريح اتصل بافريز المرسح

فسر الحضور بهذه المناظر وكثر تصفيقهم وضجيجهم وعزفت الموسيقى باصوات ضارعت هزيم الرعد ثم صدحت بانغام كانغام الاطيار حتى اسكر العازفون حضور الرواية بخمرة الانشراح وبينما كانت هذه الحالة جارية على اتم مرام والعيون ترصد اللاعبين اذ بهولاء فقدوا التوازن فسقطوا على الارض وسقط الضريح وكان مرجع الذنب عائد على باسبارتو فانه ترك مكانه واخترق صفوف المتفرجين ثم اقترب من احدهم صارخًا

ـ مولاي مولاي

فاجابه من بين الحضور صوتٌ قائل

ـ الحقني الى الباخرة

وكان الصوت صوت فيلاس فوج وبجانبه الفتاة عائدة فلما اوعز فيلاس الى باسبارتو بان يلحق به خرج فوج وعائدة من المرسح وتبعها باسبارتو وبعد ان تجاوزوا الدار لحق بهم المستر بوتولكار رئيس الجوق طالبًا تعويض الاضرار فطيب المستر فوج خاطره واعطاه كمية من سبائك السوكة

الفصل الرابع والعشرون

في اجتياز الاوقيانوس الباسيفيكي

بعد ان نكست السفينة تانكادير اعلامها ـ على ما مرّ بيانه ـ واطلقت مدافعها التماس المعونة والمدد من باخرة البريد المقلعة الى يوكوهاما توالت بعض الساعات على حالة هذه السفينة وهي في انتظار الاسعاف ثم اقتربت الباخرة منها فاخذت ركابها وعادت الى طريقها سائرة الى يوكوهاما فوصلت اليها في ١٤ نوفمبر وما رست في مياهها حتى خرج المستر فوج منها وانطلق مصحوبًا بالفتاة عائدة الى السفينة (كارناتيك) يستطلعان خبر باسبارتو فعلما بملء المسرة ان باسبارتو كان فيها وانه خرج منها ساعة وصولها الى الميناء

فبعد ان علم المستر فوج بخروج خادمه الى مدينة يوكوهاما خرج الى البر تصحبه الفتاة وساروا سوية في شوارع

البلد باحثين عن مقر الخادم فاستعلما عنه من قنصليتي فرنسا وانكلترة ولما لم يقعا له على خبر ومضى على بحثهما وقت طويل عاد الى الباخرة المسافرة الى سان فرنسيسكو وفي اثناء عودتهما عرّجا على مرسح ماتولكار ليشاهدا فيه الالعاب فعثرا باسارتو اذ رأياه يلعب على نحو ما تقدم لنا الكلام عليه مخرجا به كما اوضحنا وتوجه الجميع الى الميناء وفي اثناء الطريق قص باسارتو على سيده ما وقع له ولكن بدون ان يذكر اللصاص فيكس وبعد استيفاء حديثه دفع اليه مولاه قدرًا كافيًا من النقود ليبتاع لنفسه ثيابًا فاخذها بعد ان خلع عنه انفه الطويل وجناحيه العريضين

وكانت الباخرة الذاهبة من يوكاهاما الى سان فرنسيسكو من اتقن بواخر شركة البريد الباسيفيكي واسرعها سيرًا وهي تعرف باسم (الجنرال غرانت) وهي من ذوات العجلات تحمل الفين وخمسمائة طنًا وتسير اثني عشر ميلاً في الساعة ولها ثلاثة اصوارٍ تامة الامتعة القلوع وكان فوق سطحها رفاس حديدي يرتفع تارةً ويحط اخرى وعلى احد جانبيها يحرك ذراع (السلندر) وعلى الثاني يدور رأس (الكرنك) فيأتي بدل الحركة المستقيمة بحركة مربعة يصلها بعود العجلات. وبالنظر الى ما كانت السفينة عليه من سرعة المسير عدّل المستر فوج انه يصل الى سان فرنسيسكو في ثاني ديسمبر والى نيويورك في ١١ منه والى لوندرة في ٢٠ بدل ٢١

ثم اقلعت السفينة من مرفاء يوكوهاما غاصة بالركاب من انكليز وامركان وضباط عسكريين من جيش الهند يقضون مدة اجازتهم السنوية في الطواف حول الارض وفي هذه الرحلة كانت السيدة عائدة تهتم بشأن المستر فوج اهتمامًا خارق العادة وتتزعزع من الموانع التي تحول دون اربه في رحلته وتنظر اليه نظرة المحب لا نظرة الصديق وتتعرس وجهه فترى فيه جمالاً فائق الوصف يقيد قلبها بقيود الغرام فتطرق هيبةً واستحياء

اراكَ فاستحيي فاطرق هيبةً
واخفي الذي لي من هواك واكتمُ

وهيهات ان يخفى وانت جعلتني

حبيبي لساناً في الهوى يتكلمُ

وقد كانت مشغلة بما كان يمر برأسها من التصورات وبخاطرها من عواطف الحب والهيام فتنقاد لانفعالات النفس لان المستر فوج كان قد تملك فوادها بجزيل احسانه ووافر جميله وكانت هي ايضاً والحق يقال تأخذ بالالباب وتعظم في العيون فانها مليحة الشباب كاملة المحاسن بهية الرواء رشيقة الحركة بلا تصنع وكان المستر فوج كلما نظر اليها يتهلل سروراً وكانت كلما كلمتهُ ابدت له ابتسامةً لها في ثغور الحسان معانٍ لا يفهمها الا المحبون

دلائل الحب لا تخفى على احدٍ

كحامل المسك لا يخلو من العبق

وبعد مبارحة يوكوهاما بتسعة ايام كان المستر فوج قد بلغ من طوافه حول الارض نصف الكرة الارضية لان الباخرة (الجنرال غرانت) كانت في ٢٣ نوفمبر داخلة في النقطة المائة والرابعة والعشرين من دائرة نصف الكرة الشمالية المقابلة للوندرة وهنا سبيل للقول انه اذا كان قد مضى على طواف المستر فوج مذ قيامه من لوندرة حتى الان اثنان وخمسون يوماً ولم يقطع سوى نصف المسافة فكيف به يقطع النصف الباقي في مدة الثمانية والعشرين يوماً الباقية له من مدة الرهان

اقول نعم ان المستر فوج ما بلغ حتى الان سوى نصف الطريق ولكن اذا وجهنا النظر الى المسافة جميعها نراه قد اجتاز اكثر من ثلثي الرحلة لانهُ يوجد مسافة طويلة بين لوندرة وعدن وكلكوتا وسنغافور ويوكاهاما واما الان فالطريق مستقيمة ليس فيها عقبات ولا مصاعب تحول دون المراد

وحدث انهُ في الثالث والعشرين من شهر نوفمبر افتقد باسبارتو ساعتهُ للاستدلال منها على الوقت فرآها مطابقة على ساعة السفينة فطرب وفرح وسرّ وابتهج كأنهُ ملك سعادة عظمى وقال باعلى صوتهِ اين فيكس وماذا يقول الان لقد حصحص الحق وظهر لكل ذي عينين وافتضح كذبه ونفاقه لحاه الله وخزاه فكم حاول اقناعي بما تفنن بهِ من ضروب

الكلام اذ قال لي ان ساعتي تتقدم كثيرًا وانه يلزم تطبيقها على ساعة كل جهة ملغاها علياتٍ وليسظر الان فان الله يحق الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقًا

اما ناسارتو فكان هذه المرة في ضلالٍ مبين تائهًا في معاور جهله الفاضح فان عقرب ساعة السفينة كان دالاً على الساعة التاسعة من الصباح وعقرب ساعة ناسارتو كان دالاً على الساعة التاسعة من المساء ولو كان لساعة ناسارتو مينا رقم عليها ٢٤ ساعة لكان ميز الغث من السمين

اما فيكس فما وصل الى بوكوهاما حتى انطلق الى دار القنصلية الانكليزية فاستلم منها امرًا واردًا اليه من لوندرة بالقبض على لص البنك المستر فيلاس فوج فلما اطلع على الامر ونظر الى تاريخ صدوره وعلم انه قد مضى عليه نيف واربعون يومًا وان مفعوله لذلك بات باطلاً بالنظر الى طول المدة التي مرت عليه وبالنظر الى كون المستر فوج يدوس الان ارضًا غير انكليزية لا تسلم سرائعها

سجين احد قبل محاكمته وصدور القرار القصائي عليه فتميز حينئذٍ من الغيظ وصرف وقتًا طويلاً في الاستسلام الى الغضب واستمر كذلك الى ان افاق من غفلة غيظه وقال قد سبق السيف العذل فاطلاً اقتل الاوقات في الكدر وسوف اشفي حرارات صدري من فيلاس عندما يصل الى انكلترة ولو وصلها خاوي الوفاض لا احد معه من السفاتج التي اختلسها شيئًا فانه قد انفقها في الاسفار والدعاوي والهبة ومشترى الافيال وغير ذلك شأن من يسرف مال غيره ولكن فلا بأس فمال البنك غزير

وعاد فيكس الى الباخرة (الجنرال غرانت) قبل عودة المستر فوج فصعد على سطحها يتأمل امواج البحر مبددًا جيوش الافكار التي طرأت على رأسه في ذلك النهار ثم رمى الزوارق القادمة الى الباخرة بالركاب فرأى في احدها المستر فوج والسيدة عائدة والشاب ناسارتو فساءه لقاء ناسارتو ونهض على الفور فانطلق الى غرفته ليتوارى عن عينيه

وفي ذات يوم حدث ان ناسارتو

كان سائرًا على سطح السفينة فالتقى
بفيكس وجهًا باراه وجه فكرّ عليه كرّ
الابطال وقبض على عنقه قصد الفتك
به ثم رفع يده عن عنقه وجعل يلكمه
حتى اسال الدم منهُ مظهرًا للمتفرجين
من الامركان ان اللكم الفرنسوي (البوكس)
يفوق اللكم الانكليزي شدةً وعزمًا وعندما
اروى باسبارتو غليله منه سكن جأشه
فقال لهُ فيكس

— هل شفيت غليل فؤادك مني
فاجابهُ باسبارتو

— لا ولكن تعبت الان يداي من
اللكم

— اسمح لي الان بالانفراد معك
لاخبرك باني لم اعد اتقي في سبيلكما
العقبات وانهُ صار من مصلحتي ان تعودا
الى لوندرة عاجلاً وفيها تعلم يا باسبارتو
انك تخدم لصًا

فكان باسبارتو يسمع ذلك بكل
اصغاء متبسمًا بعض الصحة في قوله انه
انقطع عن اضطهاده لهما الا في انكلترة ثم
قال فيكس

— هل نحن صديقان حميمان

— لا ولكننا رفيقان في السفر واعلم
جيدًا اذا ظهرت لي منك خيانة ولو طفيفة
اكسر رقبتك لا محالة

— لا بأس

وفي الساعة الحادية عشرة من ليلة
٤ دسمبر دخلت الباخرة بوغار (البوردو)
المؤدي الى سان فرنسيسكو وكان وصولها
في الميعاد القانوني بدون تقديم او تأخير
برقة المستر فوج في دفتر الرحلة

الفصل الخامس والعشرون

في رزاز وبرال

وطئت اقدام المستر فوج والسيدة
عائدة والشاب باسبارتو ارض الامركان
في الساعة السابعة من صباح رابع دسمبر
ومن عظم ما استحوذ على باسبارتو من
الفرح والسرور بوصوله الى ارض امركا
وثب الى البر ساعة خروجه من الصندل
فسقط على رصيف خشبي بخره السوس
فصرخ صرخة هائلة حملت منها طيور

البط والنجع الحائمة حول تلك الارصفة المتحركة الممتدة في البحر والمياه حولها ترتفع وتنحط بحيث ان البضائع تشحن منها وتفرغ عليها بسهولة كلية وبالقرب منها ترسو سفن ومراكب وزوارق وبواخر تخفق فوقها الاعلام المتنوعة الالوان فان هذه الميناء تكثر الواردات اليها من الاصناف والبضائع برسم البلاد الخارجية كالمكسيك وبيرو وشيلي والبرازيل واوربا واسيا وغير جزائر من جزائر الاوقيانوس الباسيفيكي

وريثما صعد المستر فوج الى البر توجه الى محطة السكة الحديدية مستعلماً عن ميقات قيام القطار الاول الى نيويورك فأُخبر انهُ يذهب اليها في الساعة السادسة من مساء اليوم ولكي يقتل الاوقات بدون ضجر وانزعاج اكترى عربة بثلاثة ريالات وسارت حتى بلغت بهم النزل الاحمي وحيث ان باسبارتو كان راكباً على كرسي العربة بجانب السائق تمكن (بالنظر الى ارتفاع مكان جلوسه) من رؤيا المدينة وساباتها الشاهقة وهياكلها العظيمة وقصورها الباذخة التي بعضها مبني من الآجر والبعض الآخر من الخشب وقد رأى في فسحات طرقاتها العربات والهوادج سائرة ورأى قوماً من الامركان والاوربيين والصينيين والهنود يزيد عددهم على المائتي الف عداً

وكان الفندق الاحمي شديد المماثلة لفنادق انكلترة في البناء واصطلاح العادات وهيأة المباحث حتى ان باسبارتو ظن نفسه انهُ لم يخرج من لوندرة وعلى الخصوص عندما وجد في طبقته السفلى حانة ومائدة للطعام تقدمان المشروب والمآكل للمسافرين مجاناً

ودخل المستر فوج والفتاة الى حجرة الطعام فاكلا مريئاً وشربا هنيئاً وبعد ان شبعا وارتويا نهضا وانطلقا الى دار القنصلية الانكليزية قصد تسجيل تذكرة المرور وفي اثناء خروجهما من باب الفندق التقيا باسبارتو فقال لمولاه

— ارى من الحكمة ومن الصواب ان نشتري اسلحة كالمدى والغدارات لندفع بها شر الشيوكس والباونس اذا عارضونا في الطريق ووثبوا على القطارات الحديدية يريدون توقيفها واقتلاع عجلاتها

فقال فوج

— افعل ما شئت

ثم ساق القدم الى دار القصل وما تقل قدمه مسافة مائتي حطوة حتى عثر بفيكس الذي لما رآهُ ابتدره بالتحية فسلم عليه تسليم المشوق وابدى له الدهشة والاندهال من هذا اللقاء غير المنتظر واوضح له كونه مسروراً سعيداً بتلك المشاهدة ثم طلب ان يرافقه في زيارة المدينة فاجابه المستر فوج الى ذلك وساروا جميعاً في الشوارع والاسواق حتى وصلوا الى شارع فسيح الجوانب غاص باقوام تخفق فوق رؤوسهم الاعلام وتقذف افواههم هذه الالفاظ

· كوراح الى كاميرفيلد·

· كوراح الى ماندبوس·

فوقفوا يتفرجون على حركات اولئك الناس وبعد برهةٍ اظهر النصاص فيكس للمستر فوج عدم ملاءمة اختراقهم لصفوف تلك الجموع خوفاً من الزحام وتسابق المزاحمين فيصيبهم لكمة اورفسة فاستحسن المستر فوج رأيه ولكنه كان على جهل تام بسبب الازدحام يتسآل عن سبب تجمع الناس وما كانوا يبدونه من البشر والايناس والتهليل باصوات ترتفع في الفضاء بنغمات تثير الاشجان الا انه نظر في وسط الجمع بطلين هامين يتباريان في ميدان المصارعة واسم احدهما· كاميرفيلد· والاخر· ماندبوس· وبينما كان مرسلاً نظره الى هذه المباررة اطلق النصاص فيكس ليستعلم ممن كانوا على بعد دقيقتين منه من الاوربيين عن الباعث على هذه المسرات واذا بالجموع هاجوا وثاروا وتصاربوا وتلاكموا واوقفوا العربات وقذفوا الاحذية والقلانس في الفضاء واطلقوا العبارات النارية اشارة الى الفوز والظفر

وكان اولئك الجموع منقسمين الى حزبين احدهما ميال الى ماندبوس والاخر الى كاميرفيلد المتصارعين ولا بد ان يكون احد هذين البطلين قد استظهر على رفيقه فثار حزبه مفتخراً على الحزب الثاني على ما تقدم القول

وحدث انهُ من شدة هياج القوم وازدحام الاقدام وجد المستر فوج والسيدة عائدة والنصاص فيكس انفسهم مندمجين في وسط اولئك الجموع الشاكي السلاح

المتقلي المراوات الرصاصية والقصاب
الحديدية تحاربوا في شأنهم وطلبوا النجاة
ولا مناص لهم مما وقعوا فيه فجعلوا يدارون
الفتاة من الصدام وبينما هم كذلك اذا
برجل طويل القامة احمر اللون تقدم اليهم
وانذر المستر فوج بضربة كادت تكون
القاضية لو لم يتلقها البصاص فيكس
بساعديه فحملق المستر فوج بعدوه
وقال له

— اني عليك من امركاني

فاجابه الخصم

— اني عليك من انكليزي

فقال فوج

— سوف ترى من طعنات حسامي
عند اللقاء ما يُشيب الطفل الرضيع

فقال الخصم

— لا لا ما كل من رفع السلاح
كان لرفعه اهلاً

فقال فوج

— ما اسمك

— الكولونيل ستامب بروكتور وانت
ما اسمك

— فيلاس فوج

وبعد برهةٍ يسيرة سكن الهياج
فتخلص المستر فوج ورفيقاه من مركزهم
الحرج وحمدوا الله على نجاتهم ثم انطلقوا
سائرين الى النزل الاجنبي فرأوا عند
مدخله الشاب باسبارتو منتظرًا وصولهم
مدججًا بالسلاح الجارحة والنارية فلما
رأى فيكس اتيًا وراء مولاه نظر اليه شزرًا
وضرب عنه صفحًا ثم سأل مولاه عما شاهده
من العجائب في ارض الغرائب فقصت
عليه الفتاة عائدة ما وقع لهم جميعًا وكيف
ان فيكس اعانها (اي اعان عائدة وفوج)
فالتفت اليه باسبارتو وشكره بافصح لسان
واحلى بيان وبعد ذلك دخلوا جميعًا
حجرة الطعام فبعد الاكل استحضروا عربةً
تحملهم الى المحطة وعندما همّ المستر فوج
على الركوب سأل فيكس عما اذا كان
نظر الكولونيل بروكتور فاجابه فيكس
سلبًا فقال فوج لا بد من الرجوع الى
هنا بعد اتمام رحلتي لكي انتقم من هذا
الكولونيل اللئيم الذي اهان الشرف
الانكليزي واساء معاملتي بما فعل ولسوف
ينال جزاءهُ

وبعد الساعة الخامسة والدقيقة ٤٥

وصلت العربة بهم الى المحطة وكان القطار على اهبة المسير وبينا كان المستر فوج ينقل قدمه الى احدى العربات اذ نظر احد مستخدمي المحطة وسأله قائلاً

— ما هو السبب الباعث على الزحام الشديد اليوم في شوارع المدينة

— في هذا اليوم تم انتخاب قاضٍ للصلح في المدينة

وبعد ان القى المستخدم هذا الجواب الى المستر فوج قام القطار وسار يطوي القفار

العصل السادس والعشرون

في ركوب قطار الاكسبريس في سكة (الباسيفيك)

تنقسم السكة الحديدية الى فرعين وهما فرع الباسيفيك ويمتد بين سان فرنسيسكو واودجين وفرع اتحاد الباسيفيك ويمتد بين اودجين واوماحا التي يتشعب منها خمسة خطوط قائمة بذاتها تصل اوماحا بنيويورك

وسان فرنسيسكو ونيويورك يتصلان بخط حديدي مسافته ثلثة الاف وسبعمائة وستة وثمانون ميلاً يجتازها القطار في مدة سبعة ايام فكان المستر فوج لذلك يأمل ان يصل الى نيويورك في ١١ الشهر ويركب منها الباخرة المقلعة منها الى ليفربول

وحدث انه بعد قيام القطار بساعة من الزمان تلبدت الغيوم واظلم الجو وهزم الرعد وهمت عيون السحب بمدامع الغيث المدرار ثم برد الهواء وامطرت السماء ثلجاً فكست الارض ثوب البياض

وفي الساعة الثامنة طاف المأمور (الكوميساري) عربات القطار واعلم الركاب بحلول ميعاد الرقاد وحينئذٍ مدت على الكراسي التي يجلس عليها المسافرون شراشف تفوق الثلج بياضاً ووضعت عليها الوسادات والاغطية وأُرخيت على المقاعد ستارات تحجب النور حتى خيل للركاب انهم في غرفٍ من سفينةٍ على ظهور البحار وما كانوا الاَّ ماخرين الارض عدواً على مركبة تسير على قضبان الحديد سير البرق لمعاً وايماضاً في بطون فلوات واسعة ممتدة بين سان فرنسيسكو وساكرامنتو وتنحو ما يمكن من السرعة نحو

الشرق لتلتقي بالقطار الذي يقوم من اوماحا فانه يمتد من سان فرنسيسكو الى عاصمة مملكة كاليفورنيا فرع حديدي على طول نهر . امركان . الذي يصب في خليج سان . بابلو ومسافة طوله مائة وعشرون ميلاً يجتازها القطار في مدة ست ساعات وبعد منتصف الليل مر القطار وركابه نيام بمدينة ساكرامنتو وبعد ان عرّج على عدة محطات وبعد الساعة السابعة صباحاً مرّ بمحطة سيسكو وفي الساعة الثامنة نهض الركاب من النوم وجدوا خالق الليل ومبدع النهار واطلوا من منافذ العربات ينظرون الى القفار التي يشق كبدها القطار والى عرائس النبات التي يميل بها الهواء والى جمال الطبيعة ومناظرها البديعة

وبعد الساعة التاسعة كرّ القطار في وادي كارسون ماراً باراضي بيفادا سائراً في الجهة الشمالية الشرقية حتى اقترب من محطة ربنو فوقف نحو عشرين دقيقة تناول الركاب في خلالها الطعام

وبعد الفراغ من تناول الطعام عاد المستر فوج والسيدة عائدة ورفيقاها الى محلاتهم واحدقوا في تلك الارض ومروجها الخضراء واوديتها وجبالها والحيوانات الهائمة فيها الشاردة في صواحيها كالابقار البرية التي كثيراً ما تقف في طريق القطار فتعوقه عن السير

وفي الساعة الثالثة من مساء ذلك اليوم انتشر في طريق القطار قطيع من البقر مؤلف من ١٢ الف رأس وكان يمشي الهوينا على جسر السكة لا يخيفه سير القطار ولا شرار النار المتصاعد من فم الحلقين ولا سواد الدخان الخارج من المدخنة وكانت تلك الابقار ضخمة الجسم قصيرة الاذناب بارزة الاكتاف ذات قرون مقوّسة ورؤوس ورقاب مغطاة ناصية ذات شعر طويل

وقد اندهش الركاب من منظرها فوقفوا امام منافذ العربات وفي مطلات القطار ينظرون اليها ويسبحون خالقها

اما المستر فيلاس فوج فما تحرك من محله بل لبث فيه ينتظر لاستئناف المسير وقد كدر باسبارتو هذا الوقوف وهمّ مراراً ان يطلق على هذه الحيوانات العيارات النارية

اما سائق القطار فقد اتخذ له الحكمة دليلاً ومنع القطار من المسير بين صفوف تلك الحيوانات خيفة ان تفتك بها العجلات وتكون عائقاً للقطار عن اتمام مسيره اذا مر عليها وخرجت العجلات عن القضبان الحديدية ولذلك آثر الانتظار على السير

وقد مضت على انجلاء القطيع عن الطريق ثلاث ساعات طوال أذن بعدها باطراد المسير

وما حلت الساعة الثامنة حتى عبر القطار مضيق جبال هومبولدت وظل ماراً بها يطويها حتى دنت الساعة التاسعة ونصف فبلغ ارض اوطاح ومقاطعة بحيرة (صالي) بلاد غرائب المورمون

الفصل السابع والعشرون

في مرسل مورموني

وسار القطار اثناء ليل سادس ديسمبر في بقعة من الارض تبلغ مساحتها ٥٠ ميلاً وما لبث ان تحول عنها الى الجهة الشمالية الشرقية حتى اقترب من بحيرة صالي العظيمة

ولما اقبل الصباح وقف باسارتو في الساعة التاسعة قبالة مظلة القطار يستنشق النسيم وهبت عليه ريح الصبا فانعشت قواه وكان الجو اذ ذاك ذا لون اسمنجوني اشبه بلون البنفسج وكانت الشمس في كبد السماء مغشاة ببرقع من السحاب فظهرت من خلاله كقطعة ذهبية رائقة الصفرة وهو ما حمل باسارتو ان يرتبك بتجزئتها الى ليرات انكليزية وبينما كان مشتغلاً بذلك الحساب اذا به رأى شخصاً تلوح عليه علائم الاثراء والشرف وملامح الوقار والجلال وكان طويل القامة اسمر اللون اسود الشاربين وكانت يداه مستورتين بكفوف سوداء وعلى رأسه قبعة من الحرير الاسود وعلى جسمه لباس اسود وفي عنقه رباط من الحرير الابيض وكان بالاختصار مستكملاً لمظاهر الترف والثروة وعلو المنزلة وكان يقترب من باب كل مركبة من مركبات القطار ويلصق عليه اعلاناً مكتوباً بخط يده فدنا باسارتو من الاعلان فقرأه واليك ترجمته

انا الموقع على ذيل هذا الاعلان

المرسل وليام هتش اغتنم فرصة وجودي في القطار المرقوم عليهِ عدد ٤٨ واتشرف بان اعلن لحضرات المسافرين الكرام اني عينت ساعة واحدة تبتدئ من الساعة الحادية عشرة صباحًا وتنتهي في الظهر لالقاء الدروس المقدسة في العربة المرقوم عليها عدد ١١٧ وذلك في الديانة المورمونية واشرح بالاسهاب افضال القديسين الذين ظهروا في الايام الاخيرة فاحث الركاب للحضور واني لهم من الشاكرين   الامضا

وليام هتش احد مرسلي
الديانة المورمونية

ولما قرا باسبارتو هذا الاعلان قال في نفسه

— لا مانع من ذهابي الى معترتلك الدروس لاحضر تعاليم وليام الدينية واعرف شيئًا من تقليدات هذه الديانة التي من مبادئها الاولية اكثار الزوجات

وما دنت الساعة المعينة حتى ازدحمت العربة (١١٧) بالحضور واجتمع فيها ما ينيف عن الثلاثين شخصًا عددًا فقام فيهم المرسل هتش خطيبًا وافتتح الكلام بصوتٍ عالٍ فقال .

اقول ولا اختشى في الحق تعنيفًا ان (جون سميث) مات شهيدًا وهو الان في جنة الابرار نعيم الاخيار واقول لكم ايضًا ان اخاه هيرام مات شهيدًا ايضًا وهكذا سيموت الشاب برايغم ممن منكم يتجرأ ويقول بعكس ذلك لا اظن ان احدًا يقدم على عكس هذا القول . واعلموا جيدًا ان الايمان يتأيد في زمن الاضطهاد وان الديانة تنمو في زمن الضيق انظروا الى حكومة الولايات كيف انها لما استولت على مقاطعة اوطاح سحت جميع المورمون وفي جملتهم الشاب برايغم وهم الان يقاسون مرّ العذابات بفرحٍ وسرور

ان الديانة المورمونية موجودة منذ الازل وقد تلقاها من السماء نبيٌّ من سبط يوسف واودع وصاياها في كتابٍ سلمه لولده مورمون وبعد قرون ترجم الكتاب الى لغة المصريين حضرة الفاضل يوسف جونيور الذي كان صيدليًا ورُفع الى السماء عام ١٨٢٥ اه

وكان هذا المرسل يتوقد في كلامهِ نطقًا ويلتهب حدةً ويذوب تصورًا

ويسيل رقةً مقلباً اوجه الحديث متمساً في ضروبه متنقلاً في اساليبه باسطاً للعلم بحيث يقال عنه هذا آية الدهاء والذكاء مظهراً للجهل بحيث يقال هذا مثال السذاجة والبله ولكنه اطال الكلام حتى ضجر الحاضرون فاخذوا في الخروج من العربة ولم يبقَ منهم الا عشرة اشخاص لبثوا يسمعون حديثه حتى النهاية

وكان القطار اثناء ذلك سائراً بسرعة لا مزيد عليها وما حان اوان الظهر حتى اقترب من بحيرة صالي التي تصب في اردن امركا ويندفق ماؤها على صخورٍ قائمة من حولها منحدرة مسترسلة الى الارض التي يمد الربيع عليها بساطاً سندسياً مدبجاً بلآلئ ازهار تنعش الافئدة بطيب شذاها اما البحيرة فطولها يبلغ سبعين ميلاً بوجه التقريب وعرضها ينيف على الثلاثين ميلاً وهي تبعد عن البحر مسافة ثلاثة الاف وثمانمائة قدم

وفي الساعة الثانية وصل القطار الى محطة اجدين ووقف فيها اربع ساعات متواليات خرج المستر فوج في خلالها الى البر مصحوباً برفقائه وساروا نحو مدينة (القديسين) قصد التفرج على ظرائفها ولطائفها وقد وصلوا اليها في الساعة الثالثة فطافوا شوارعها وطرقاتها وزاروا اجمل قصورها وابنيتها كدار الذوق وبلاط الملك والمسلحة وسائر ما تحتوي عليه من الاثار اما ابنية هذه المدينة فجميعها مبنية من الاجر المائل الى الزرقة وامامها ليوانات وجماش ٍ وحولها بساتين فيها عرائس الرياحين واشجار النخل والخروب يتخللها النبات الاخضر ويكتنف هذه المدينة سورٌ مبنيٌ من الحرف منذ عام ١٨٥٣ ثم طافوا عدة شوارع بدون ان يلتقوا في طريقهم اناساً كأن المدينة دار بلقع لا تأهل سكاناً ولما وصلوا الى شارع الهيكل التقوا بسوقٍ كثيرات مارات بالطريق ورأوا الغنيات منهنّ يلبسنَ وشاحاً من الحرير الاسود خالياً من بهارج الزينة واستدل باسارتو من كثرة عددهنّ على انهنّ مورمونيات وهنا محال للقول ان عند بعض المورمون (لا جميعهم)

سة اكثار الزوجات خصوصاً عند اهالي مدينة اوطاح فانهم يكرهون على البنات العذارى البقاء في العزوبة ويسوقونهنّ الى الزواج قسراً كالنعاج

وبعد الساعة الرابعة عاد المتفرجون الى المحطة ونزلوا الى محلاتهم في عربات القطار وعندما صفر القطار دلالةً على السير واخذت المحلات تكر على القضبان الحديدية علا في الحو صوت ينادي السائق ان قف ولا تسر

وبما ان قانون السكة الحديدية لا يرخص لمهندسي القطارات في الوقوف متى سارت ظلّ القطار لذلك سائراً بينما كان ذلك الصوت ينادي السائق ان اقف المسير. وبعد ثانية من الزمن رؤي صاحب الصوت راكضاً ثم والجاً ساحة المحطة ومنها انطلق عدواً الى الرصيف فقفز منه الى سلم اخر عربة من القطار وكان هذا الرجل من اهل الديانة المورمونية

وكان باسبارتو مشاهداً لذلك الحادث فاعجبه من المورمون خفتهم في القفاص وسرعتهم في السير ولكنه كان جاهلاً للباعث الذي اخر هذا الرجل عن ركوب القطار وللداعي الذي اضطره الى هذا السفر المعجل وما علم ان المورموني كان هارباً من الزواج

وبعد ان وصل المورموني الى القطار واستراح اقترب منه باسبارتو وسأله بقوله

— كم لك من النساء

فاجابه المورموني رافعاً ذراعيه الى السماء

— واحدة فقط وهي حسبي وكفى

الفصل الثامن والعشرون

في ان باسبارتو اخفى على مولاه امراً ذا بال

وبعد مبارحة القطار لمحطة البحيرة (صالي) والمحطة (احدني) سار ساعة طويلة نحو الشمال الى ان وصل الى نهر . فيبر . وكان قد قطع تقريباً تسعمائة ميل من حين قيامه من محطة سان فرنسيسكو

وبعد قيامه من نقطة نهر : فيبر سار في مضيق حال : واحسائش : في قمة فاصلة بين هذه الجبال وبين

حال روشير حيث عانى المهندسون الامركان مريد التعب في تخطيط السكة الحديدية وعقدوا مع الحكومة اتفاقًا على اجرة تبلغ ٤٨ الف ريال عن كل ميل في الجبال مع ان اجرة الميل في السهول ستة عشر الف ريال فقط

وبعد الساعة السادسة مساء وقف القطار في محطة «فور برايدجير» وبعد برهة وجيزة بارحها وما اجتاز عشرين ميلا حتى بلغ ارض ولاية «روميج» وسار في وادي «حون بيتر» وفي صباح سابع ديسمبر وقف القطار في محطة «حرين ويبر» نحوا من ربع ساعة كان الثلج في خلالها يتساقط كثيفًا مما بعث الركاب على الخوف من ان يكون سببا في وقوف القطار ولكن لحسن الطالع امسكت السماء قليلا ثم امطرت غيثًا مدرارًا فاذاب الثلج

وقد اضطرب باسبارتو لذلك وكلما احدق في الارض ويشاهد فوقها الثلوج تلالا كان يحيا لها تميد به في الطول والعرض ثم يقول في نفسه اما كان الاجدر بمولاي ان يختار زمن الصيف لهذه الرحلة تحميًا للمصاعب التي يصادفها في زمن الشتاء ومجانبةً للموانع التي يلقاها في طريقه حينًا بعد حين من غير انقطاع

وفي اثناء وقوف القطار نزل منه بعض الركاب الى رصيف المحطة لتمضية الوقت ومن جملتهم الكولونل ستامب بروكتور وكانت الفتاة عائدة وقتئذٍ متربعة في عربتها منقبضة الصدر مشتتة البال قلقة الفكر من جراء الموانع التي كان يصادفها المستر فوج في رحلته ودفعًا للغم دنت من نافذة العربة واحدقت بصرها فيما خارجها فرأت اناسًا يخطرون على الرصيف وبينهم الكولونل ستامب الذي اساء معاملة المستر فوج في مدينة سان فرنسيسكو فتوعده بالاقتصاص منه ايما قصاص فلما نظرته الفتاة ارتدت عن النافذة لئلا يراها فيعرفها فجلست مستسلمةً لتباريح القلق صارتةً في وهاد الاضطراب حارجةً من فكر مشاهدة المستر فوج لهذا الكولونل فيشتبك معهُ بقتال تسوء عاقبته سواء ظفر فوج او لم يظفر فانهُ يؤخره عن اطراد السفر

وبعد قيام القطار من المحطة اغتنمت عائدة رقاد المستر فوج واخبرت فيكس وباسبارتو بوجود الكولونل بروكتور في القطار واطلعتهما على سوء العاقبة اذا التقى بالمستر فوج فقال لها فيكس

ــ ان هذا اللئيم ساءني جدًا وسينال جزاءه مني

وقال باسبارتو

ــ ساخذ عنه هذا الامر على عاتقي

فقالت لهما الفتاة

ــ ان شهامة المستر فوج تأبى ان تأخذا بثأره وهو رجل شديد الساعد قوي البنية ونحن الان في حالة يجب ان نكتم فيها الامر على المستر فوج والّا ندع له فرصة يخرج بها من القطار حتى يصل الى نيويورك فلربما لا يشاهد عدوهُ في القطار ومتى بلغنا نيويورك لا نعدم طريقة اخرى للافاة الامر

فوقع كلامها في الاذان موقع الاستحسان وبعدها استيقظ المستر فوج فقطعوا الكلام وبعد التزامه السكوت مدة لم يفه في خلالها احد بكلمة اقترب باسبارتو من فكس وهمس في اذنه قائلاً

ــ الصحيح ما تقول من انك تدافع عن مولاي

ــ اجل فاني افرغ جهدي في سبيل سوقه الى اوربا سالمًا

فهاج عامل الغضب في فواد باسبارتو من هذا الجواب ثم صرف باسنانهِ ولزم الصمت وبعد ذلك التفت فيكس الى المستر فوج وساق اليهِ الكلام فقال

ــ ان الساعات التي نصرفها في قطارات السكك الحديدية في السفر لطويلة وقد كنت يا مولاي تقتل الاوقات على السفن الجارية في لعب «الويست» والسيدة عائدة تتقن هذا اللعب وانا ايضًا اعرف بعض ضروبه وفي القطار يباع هذا الورق فاذا شئت مضينا الوقت في اللعب تخلصًا من الضجر المستحوذ علينا فاجابهُ فوج

ــ لا مانع من قبلي

فتوجه باسبارتو وابتاع ورق اللعب واحضره الى مولاه قائلاً في نفسه الحمد لله فقد تمكنا من حصر المستر فوج فيما داخل القطار وذلك لانهُ كان يخشى ان يخرج منهُ ويعرض نفسه لبعض اسباب الاهانة .

وعند الظهر مد سماط الطعام في احدى عربات القطار للستر فوج ورفقائه فاكلوا وشربوا حتى اكتفوا ثم نهضوا واستأنفوا اللعب وبينا هم يلعبون اذ سمعوا صفيرًا شديدًا خارجًا من آلة القطار فهرع باسبارتو الى الباب ونظر الى الامام فلم يرى شيئًا مانعًا من المسير ثم نزل الى الارض ليتحقق الخبر فرأى نحو اربعين راكبًا نازلين من القطار وفي جملتهم الكولونل ستامب بروكتور وكان القطار قد وقف امام علامة حمراء فنزل منه السائق والمهندس فوجدا وكيل محطة «بو» القريبة من تلك النقطة واقفًا فسألاه عن سبب ايقاف القطار فاجابهما ان هذا القطار مثقل بالركاب ولا يتحمل ثقله جسر بو فلما سمع الكولونل بروكتور هذا الجواب قال للسائق اومل الا تغادرونا هنا عرضةً للبرد والثلج فاجابه السائق ان قد طلب من محطة (اوماها) قطار صغير لنقل الركاب وسيحضر بعد ست ساعات فصرح باسبارتو مرددًا قول السائق (بعد ست ساعات) فقال له السائق نعم وارى الاجدر بك ان تصرف المدة في الذهاب مشيًا الى المحطة التي لا تبعد سوى مسافة ميل لو لم تكن في الصفة الشمالية من النهر الذي لا يمكن اجتيازه بواسطة الزوارق لان المياه متجمدة فيه

وبعد ان علم باسبارتو جميع ذلك عاد ليطلع مولاه على الاسباب التي الجأت الى وقوف القطار في تلك النقطة وفيما كان سائرًا سمع صوتًا قائلاً : ايها السادة الركاب يمكننا ان نعبر الجسر على هذا القطار ولي مل، الامل في اتمام المسير بدون حدوث ادنى ضرر للقطارات والركاب والطريقة الوحيدة لذلك هي ان يسير القطار سيرًا سريعًا يحاكي وميض البرق مارًا فوق ذلك الجسر المتهدم فيعبره عابرًا سالمًا وكان صاحب هذا الصوت مهندس القطار

فصح لهذا الرأي جميع الوقوف باصوات الاستحسان وعادوا الى محلاتهم في القطارات ثم عاد باسبارتو بدون ان يخبر مولاه بشيء وما جلس في مكانه حتى صفر القطار وتأخر الى الوراء مسافة ميل ثم تقدم الى الامام سائرًا بسرعةٍ لا يعبر عنها

لسان معبر الجسر باسرع من البصر وبعد عبوره باقل من رمشة عين اندك الجسر دكًا وسقط سقوطًا مرعبًا

الفصل التاسع والعشرون

في مقابلة المستر فوج مع الكولونل ستامب بروكتور

وقضى القطار الليلة برمتها سائرًا حتى قطع صحارى «صودبر» واجتاز ممر صيان «فوصل الى ممر ايفان. حيث بعد الخط الحديدي عن ساحل الاوقيانوس مسافة ثمانية الاف واحدى وتسعين قدمًا كان القطار يجتازها بكرات متواصلة ولم يقف الا في محطة الاتلانتيك الكائنة في وسط فدفد منبسط شاسع تلتقي فيه الخطوط الحديدية الممتدة الى مدينة دينر وهي اعظم مدن الكولورادو وفيها معادن كثيرة ذهبية وفضية وتأهل من السكان نيفًا وخمسين الفًا

اما القطار فكان قد قضى الى ذلك الوقت من يوم قيامه من محطة سان فرنسيسكو مدة ثلثة ايام قطع في غضونها مسافة الف وثلثمائة وواحدًا وثمانين ميلاً والقطارات تصرف عادةً مدة اربعة ايام فقط من سان فرنسيسكو الى نيويورك

وفي الساعة الحادية عشرة من الليلة نفسها دخل القطار ارض نيبراسكا ومر بالقرب من سيدجويك وعرج على جوليسبورج الكائنة عند فرع الخط الجنوبي من نهر بلات الذي كان النقطة الرئيسية لاتحاد السكة باسيفيك رود. ففي ٢٣ اوكتوبر من عام ١٨٧٦ حضر الى شاطئ النهر المهندس الشهير الجنرال دودج بتسعة قطارات تقل قومًا كرامًا وكان بينهم المستر توما والمستر دوران الشهيران فحضروا افتتاح السكة ومدت لهم الموائد واقيمت لهم الالعاب النارية عند شاطئ ذلك النهر

وفي الساعة الثامنة من صباح الغد هب الركاب من الرقاد واقتربوا من النوافذ طلبًا لاستنشاق الهواء وكان القطار سائقًا في الضفة الشمالية من نهر بلات «وعند الساعة التاسعة بلغ نهر المدينة العظيمة نورث بلات القائمة بين نهرين يحتاطان بها احاطة السوار بالمعصم ويمتزج ماؤها بماء نهر «ميسوري

وعاد المستر فوج ورفيقاه الى لعب (الويست) فقصوا الوقت من غير ضجر وملل من طول الطريق وقد لقي المستر فوج في هذه المرة ما يحسد عليه من حسن الحظ فكان الورق طوع رغائبه يأتيه حسب مرامه وبينما كان على وشك ان يفتح ورقة «البيك» اذا به سمع صوتاً خارجاً من قرب باب العربة فحانت منه التفاتة نحو مخرج الصوت فشاهد الكولونل (ستامب بروكتور) واقفاً بالقرب منه يقول له

— تروم ايها الانكليزي ان تلعب بيك ؛ ولا تعرف هذا اللعب ليها الغير فالعب (كارو) اذا اردت

فاجابه فوج برصانة

— ومن يتقن هذا اللعب مثلي

ثم رمى بعشرة الديناري الى الارض واحتفز للقيام

فاصفرت وجنتا الفتاة عائدة خوفاً على منقذها وامسكت بذراعيه منعاً له من القيام لملاكمة الكولونل فدفع يدها برقة ولطف دفعاً خفيفاً وكان باسبارتو اذ ذاك على وشك الوثوب على بروكتور لولا اشارة مولاه اليه بالعدول عن الهجوم عليه . وكان فيكس ايضاً قد نهض وخاطب الكولونل بقوله

— هل ذهب عنك انك اسأتني ولكنني . فقال فوج

— اصغ اليّ سمعاً يافكس فان الكولونل قد اهانني وحدي الان بقوله ان ليس لي الحق بلعب «البيك» ومن مقتضيات شرفي ان اقتص منه على هذه الفعلة

فاجابه الكولونل

— اين ومتى تروم استرجاع شرفك

فلما سمع المستر فوج هذه الكلمات نهض على الفور بالرغم عن محاوله عائدة لمنعه من مصادمة الكولونل وخرج الى ما خارج العربة مع الكولونل وقال له

— لولا قصر الوقت وما تقضي عليّ به اشغالي من العود الى اوربا عاجلاً لكنت نزلت معك ميدان القتال وعندما صدرت منك ضدي تلك الاهانة في مدينة سان فرنسيسكو عزمت على العود لملاقاتك متى وفرت عندي الفرص وسمحت لي اشغالي بالعود اليك

وسيكون ذلك عاجلاً ان شاء الله بحيث لا يمضي ستة شهور حتى تراني عائداً ابحث عليك

فقال الكولونل

— ولماذا لا تقضي اليوم ما عزمت على تأجيل قضائه الى حين وتكتفي مؤونة التعب في العود الى ديارنا فنحن الان مقبلون على محطة (بلوم كريك) فعندما يقف القطار فيها ننزل الى الارض ونتبادل اطلاق الغدارات فينتهي كل امرٍ بيننا

فاجابه فوج

— اصبت . قال هذا وعاد الى عربته على مقتضى عادته من السكينة والهدو ثم هدأ بال الفتاة واستأنف اللعب. وعند الساعة الحادية عشرة اقترب القطار من محطة (بلوم كريك) فنهض المستر فوج وتقلد روحاً من الغدارات واصطحب فيكس كشاهدٍ وانطلق كلاهما الى درج القطار فالتقيا بالكولونل وشاهده وعند ذلك هم الجميع على النزول الى الارض فمنعهم سائق القطار من النزول بقوله ان القطار لا يقف في هذه المحطة حسب عادته لاننا اضلنا تأخير عشرين دقيقة يجب علينا ان نعوضها واذا كنتم مضطرين الى النزال فما الذي يمنعكم من القتال في قلب القطار حال مسيره فانهُ يوجد في مؤخر القطار عربة فسيحة الجوانب اخليها لكم لتكمروا فيها عن سيآتكم ثم مشى امامهم حتى اوصلهم الى العربة المعهودة وادخلهم اليها قائلاً

— من هذه العربة لا يخرج احد منكم وتركهم وراح يسوق القطار

فوقف المستر فوج في العربة وفيكس الى جانبه بصفة شاهد ووقف قبالته الكولونل بروكتور والى جانبه شاهده ثم اتفق الكولونل والمستر فوج على الشروع في اطلاق الغدارات حال تصفير القطار

وما ازف الوقت المعلوم حتى علت في الخصوصاء يتخللها قرقعة سلاح ودوي بنادق وصراخ هائل فارتعدت فرائص الكولونيل فخرج الى ما خارج العربة وتبعه المستر فوج وفيكس فرأوا قوماً منتشرين كالجراد على الخط الحديدي مدججين بالسلاح معتقلين البنادق والمراوي يهجمون على درجات القطار ويصعدون

اليها وقد صعد رئيسهم الى حيث المهندس فاوسعهُ ضربًا واثخنهُ جراحًا وقبض على مفتاح الآلة محاول ايقافها ثم حرك المفتاح على غير دراية فطار القطار وسار سير البرق

وهولاء الاشقياء يعرفون بقوم (سيوس) وقد جعلوا حرفتهم مذ نشأة السكة الحديدية في بلادهم ان ينهبوا القطارات ويحطموا المحلات ويذبحوا الركاب ويجرحوهم

واستمر ذلك القتال نحو عشر دقائق كان الركاب في خلالها يدافعون عن انفسهم بكل بسالةٍ وثبات ولا سيما السيدة عائدة فانها كانت قابضة بيدها البيضاء على غدارةٍ ذات ست طلقات تطلقها على الاعداء حتى جدلت منهم نيفًا وعشرين قتيلاً ما عدا الذين جرحتهم وقد اصيب بعض الركاب بجراح بليغة تنذر بالخطر

وبينما كانت الحالة على ما تقدم عليه الكلام قال السائق للمستر فوج

— اذا لم يقف القطار قبل خمس دقائق هلكنا جميعًا لا محالة

— ولماذا

— لان (السيوس) صاربون بين حصن كيرني والمحطة الآتية وهناك يوقفون القطار ويهلكوننا جميعاً

فبعد ذلك همّ فوج على الوثوب من القطار فلما رأى باسارتو ذلك قال لمولاه قف وقفز على الارض ثم سار بالقرب من محلات القطار والسيوس يرمونهُ برصاص بنادقهم حتى وصل الى اول عربة مرتبطة بالآلة فحمل الزنجير الذي يربطها بالآلة فلبثت الآلة سائرة وبعد بعض كراتٍ وقف القطار على بعد مائة خطوة من محطة كيرني

وقد شعرت حامية الحصون بدوي البنادق فاتت لاغاثة الركاب · امـــا السيوس فقبل وقوف القطار شعروا بقدوم الحامية فولوا الادبار

وبعد وقوف القطار في المحطة نزل الركاب الى الرصيف واخذ وكيل المحطة يعدهم ليعرف من فقد منهم · وباستدعائه لكلٍ باسمه علم ان عدداً كثيرًا قد فقص منهم وفي الجملة الشاب الفرنسوي باسارتو الذي كان السبب في نجاة الجميع

الفصل الثلاثون

في ان فيلاس قام بحق الواجب

وقد كان غياب باسارتو داعيًا للغم والحزن عند المستر فوج والسيدة عائدة وقد تبادلا الآراء في شأن البحث عنه وكيفية الوصول الى افراج كربته اذا كان اسيرًا

اما الذين اصيبوا بجراح البتة من الركاب فكانوا كثيرين وفي جملتهم الكولونل بركتور فانه اصيب برصاصة في فخذه فخر على الارض صريعًا فنقل كباقي الجرحى الى المحطة لمداركة جروحهم قبل ان يتعسر شفاؤها

واما السيدة عائدة وفيلاس فوج فكانا سليمين لم يصابا بخدش ظفر مع انهما قاتلا كالاسود الكاسرة بشجاعة وبأس وبسالة وثبات

وكانت قارعة الطريق وجسر الخط الحديدي ملطخين بالدماء وعليها جثث القتلى المشوشة الوجوه مجدلة تحوم عليها عقبان الغاب ووحوش الفلاة

وقد شق على المستر فوج فقد خادمه باسارتو وعظم عليه هذا الخطب حتى هان عليه اخفاق الرحلة وفقد ثروته فاطرق في الارض مفكرًا يحاول اخفاء ما به عن الفتاة عائدة لئلا تتوسم فيه قلقًا فتكابد من حرارته عناء مرًّا وبينما هو على هذه الحالة قبضت الفتاة على يديه وجذبتها الى صدرها فغسلتها بماء مقلتيها وقالت له

— وما بك جعلت فداك فاجابها

— ليس لي صبر على فراق باسارتو الذي بذل حياته في سبيل انقاذنا جميعًا من مخالب اولئك القوم الاشقياء وقد اخلص لي الخدمة في كل المدة التي قضاها معي فلا بد من افراج كربته والسعي في انقاذه اذا كان عند السيوس اسيرًا

وبعد ان فرغ من كلامه تقدم الجند فاند حامية كيرني الذي كان قد اتى لنجدتهم بمائة جندي وقال له ان ثلاثة ما اسرهم السيوس وعار علينا ان نتركهم بين انياب هؤلاء الوحوش يتقلبون على شوك القتاد ويتجرعون كأس الذل والخسف فالشرف والمروة يقضيان علينا بانقاذهم مهما ترتب على ذلك من اراقة الدماء وضياع الرجال والاموال وان انقاذهم فرضٌ لا بد من وفائه ودين

لا ماص لصاحب المروءة من قضائه ولاسيما ان الشاب باسارتو بينهم وهو الفتى الذي انقذنا جميعا من الهلاك

فقال له القائد

— ليس لدينا قوة كافية للهجوم وليس من الحكمة ان تراق دماء خمسين رجلاً في سبيل انقاذ ثلثة فقط

فحينئذٍ التفت فوج الى الحضور وقال لهم

— اني حرٌ افضل الموت على العار ولا يدع انصاره في حالتي اليأس والخمول فليلحق بي لنحيي رفقاءنا الذين لا شك انه قد مرّ عليهم الى الان من العمر ما هو جدير بان يكتب بالابر على اماق البصر

وما اتم كلامه حتى اضطرمت في رأس القائد شعلة المروءة فالتفت الى جنوده وقال لهم

— من منكم يدافع عن الانسانية بحياته

فلباه خمسون جنديًا بصوتٍ واحد فاختار منهم ثلاثين وامرهم بالذهاب مع المستر فوج بقيادة قائدٍ طاعن في السن ولكنهُ مدرَّب مروض الجسم في ميادين القتال

وطلب فيكس من المستر فوج أن يلحق به ايضًا فشكره وكلفه بان يبقى مرافقًا للفتاة عائدة وان يعتني بشأنها اذا مات شهيدًا في سبيل الدفاع عن الانسانية فشق على فيكس ان يفارق فوج لص السلك الذي تأثره من السويس ولكنه اجاب طلبه مضطرا واطرق في الارض مصفرّ الوجه من الخوف على حياته اذ يكون تعبه قد راح سدىً

ثم تقدم فوج الى الفتاة عائدة وسلمها جعبة السفر التي تحتوي على السفاتج وهز يدها هزة الوداع الى حين الاجتماع وسار بحملته الى حيث اراد ان ينقذ باسارتو وكان قد سبق فوعد الجنود اللاحقة به ان يعطيهم جائزة الف ليرة اذا انقذوا الاشخاص المراد انقاذهم

وبعد ذهابه انزوت الفتاة عائدة في حجرةٍ بالمحطة واستسلمت للغم منقادةً للعذاب شأن الواقع في البلاء الجسيم والخطب العظيم وكانت تفتكر بالمستر فوج وما طبع عليه من الشهامة وكرم النفس فيزداد حبها فيه وشغفها به ثم تنتقل

من ذلك الى افتراض ان يفتك السيوس به فتتقد النار في مهجتها وتظلم الدنيا في عينيها وتزداد غمًّا وعذابًا على غمها وعذابها

وعند الساعة الثانية بعد ظهر اليوم بينما كان الثلج يتساقط على الارض اذ سمع الركاب عن بعدٍ صفير آلةٍ بخارية فوجهوا الاذن نحو مصدر الصفير ثم احالوا انظارهم في الفضاء فابصروا عن بعدٍ آلة بخارية تشق البيداء قادمةً اليهم على عجلٍ وقفت على بعد عشرين ميلاً من محطة كيرني

وحدث انهُ عندما استولى السيوس على القطار كما تقدم الكلام وقبض رئيسهم على الآلة التي تقود القطارات كان المهندس والوقاد قد وقعا في مكانهما غائبي الرشد من شدة الضرب الذي ذاقاه ولما فصل ما سارتو الآلة عن القطارات على ما مرَّ بنا من الكلام ارتد السيوس الى الوراء ونزل من كان منهم على الآلة الى الارض لاحقين برفقائهم ولما انطفأت النار في الحلقتين وقفت الآلة في وسط الصحارى ثم انهُ عندما افاق مهندسها ووقادها من غشوتهما عادا بها الى محطة كيرني وعندما تبين الركاب ذلك فرحوا وابتهجوا وسروا سرورًا لا مزيد عليه

وعند الساعة الثانية بعد ظهر اليوم دنت الآلة البخارية من القطار فارتبطت بها واخذت في التأهب لجرّه فلاحظت ذلك السيدة عائدة واقبلت على السائق تسألهُ

— متى يسافر القطار

— في الحال يا مولاتي

— اتسمح لك شهامتك بترك المستر فوج مع حملته في هذه القفار

— ان واجباتي تقضي عليّ بالسفر ولا سيما بعد ان تأخر القطار ثلاث ساعات عن ميعاده المعين

— ومتى يمر من هنا غير هذا القطار

— في مساء الغد فتصلي يا سيدتي واركبي القطار اذا كنت مسافرة

— لا لا اسافر لا اسافر

وكان فيكس مصغيًا لهذه المحاورة وبعد ان كان شديد الرغبة في السفر شعر بمحرك مجهول يدفعهُ نحو ركوب القطار ويمنعهُ من التقدم والخروج من مكانهِ

وبعد أن نقلت الجرحى الى عربات القطار وفي جملتهم الكولونل بركتور سار القطار مسرعاً من لمح البصر وعادت السيدة عائدة الى الحجرة المعدة لها بالمحطة فوقفت امام نافذتها الزجاجية تنظر الى ما يمر بها وتحسب كل من تراه فيلاس فوج ولما اقبل الليل ولم يعد اشتد فيها عامل الاسى والاسف فاسترسلت للبكاء حتى تقرحت منها الجفون ومن شدة ما استولى عليها من الاضطراب سقطت على متكأ مكتئبة وبدلت شدة الحزن هيئتها وغيرت محاسن خلقها وقد لبثت صامتة تصغي الى جلجلة الرعود وحركة تساقط الثلوج حتى بزغ الصباح فخرجت الى رصيف المحطة تنظر يمنةً وشمالاً ولما لم تنظر المستر فوج عادت الى حالتها من القلق والاكتئاب والخوف والاضطراب

ويا عجباً كيف لا تذوب اسى على منقذ حياتها من الموت ومنتشلها من اهوال الهلاك

اما فيكس فبعد مبارحة القطار للمحطة جلس على متكأ فيها لا يبدي حراكاً فاقد الرشد غائباً عن الحواس لا يشعر بالبرد القارس ولا بتساقط الثلوج وقد لبث في مكانه حتى صباح اليوم التالي

وكان قائد حامية كيرني قلقاً مضطرباً على عدم اياب السرية التي ارسلها مع المستر فوج وقد حار فيما يجريه : هل يشفعها بشرذمة اخرى من جنوده تبحث عنها ام يلبث منتظراً ثم انه لما فرغ صبره أمر ضابط القلعة باستكشاف ناحية الجنوب وبعد وقت يسير حضر الضابط من موقع الاستكشاف واخبر ان فوج عائد بالظفر والغنيمة

وبعد برهة يسيرة من الزمان وصل فوج الى المحطة مصحوباً بالشاب باسبارتو والاثنين الاخرين الذين اسرهم السيوس وكانت الجيوش من حوله تثني على بسالته وحسن تدربه في الفنون العسكرية وقد تقدم الجائزة حسب وعده

ولما بلغ فوج رصيف المحطة تقدمت السيدة عائدة لاستقباله راقصةً فرحاً لا تدري كيف تعلن سرورها وتفصح سعادتها ولما وضعت يدها في يده وبادلته التحية رأى منها ما كاد ينطقها بلسان القائل

وحياتكم وحياتكم قسماً وفي
عمري بغير حياتكم لم احلفِ
لوان روحي في يدي ووهبتها
لمبشري بقدومكم لم اسرفِ

الفصل الحادي والثلثون
في اهتمام الصاص فيكس بشأن
المستر فيلاس فوج

وكان وصول المستر فوج الى المحطة بعد قيام القطار منها بعشرين ساعة صرفها في انقاذ باسبارتو من اسره وبينما كان يبحث على وسيلةٍ يتمكن بواسطتها من استئناف المسير ومتابعة السفر وتعويض الوقت الذي فقده اقترب منهُ فيكس وحملق في وجهه ثم سأله قائلاً

— من اللازم ان تبلغ نيويورك في ١١ الجاري لتركب الباخرة المسافرة من مرفائها الى ليفربول في الساعة التاسعة مساء

— ومن يمكني من ذلك وقد صار لديَّ ضرباً مستحيلاً

— ان احد الامركان المدعو مورج عرض عليَّ بالامس آلة تنقل تحملني الى حيث اريد وبما انني كنت في انتظارك ما وقفت على كيفية سير تلك الآلة فاكتفيت بان اجيب ذاك الامركاني بقولي له ان يحضر اليَّ في هذا اليوم وهو يقطن كوخاً لا يبعد من هنا اكثر من عشرين خطوة

— واين كوخه

— بالقرب من حصن كيرني

فتوجه المستر فوج الى حيث الكوخ ورأى الآلة فوجدها غاية في الاتقان والانتظام فاكتراها من صاحبها بقدرٍ معلوم من الدنانير

وما ادراك ما هي هذه الآلة في بلاد الامركان

هي مركبة ليس لها عجلات تسع من ثمانية الى تسعة اشخاص تسير فوق الثلوج بقوة الرياح باسرع من سير قطار الاكسبرس . يقوم في مقدمها صارٍ طويل مشدود بحبال معدنية ومعزز بدعائم حديدية وفوقه قلع كبير مربع وفي مؤخرها دفة على شبه المجداف تستعمل لتسيير المركبة في الطريق المقصودة وفي جوفها مناقف لحرق الثلوج وكثيراً ما تستعمل في تلك الديار لنقل الركاب عندما يمنع

بكاثف الثلوج القطار من المسير

وقبل ان تسير المركبة في وسط تلك القفار الشاسعة اراد المستر فوج ان يترك السيدة عائدة تحت ملاحظة باسارتو ويقودها الى اوربا بدون ان تقاسي المشاق التي يقاسيها هو فأبت الفتاة الافتراق عنه ولومها عانت من المصاعب والاهوال فسر باسارتو بابائها لذلك وعظمت في عينيه

وبعد الساعة الثامنة كانت المركبة مستعدة للمسير فركبها المسافرون وجلس سائقها امام الدفة وبعد فترة نشر لها قلعين فقط فسارت بها سير البرق على صفحات الافاق تقطع في الساعة مسافة اربعين ميلاً واذا استمرت الريح تخدمها ولم يطرأ عليها حادث غير منتظر بلغت لامحالة محطة اوماحا قبل قيام القطار منها الى شيكاكو

وقد كان لصاحبها همة وهبة في تسييرها ورغبة شديدة في البلوغ بها الى اوماحا في الاجل الذي ضربه له فوج حتى ينال الجائزة التي وعد بها علاوة على الاجرة فلا عجب لذلك اذا رأيناه باشرًا جميع قلوعها بقصد الاسراع في المسير ولبثت الريح تخدم سير المركبة وتنفخ قلوعها الكثيرة بشدة حتى جعلت لمسيرها سرعة يعجز عن وصفها اليراع ولا تضاهيها سرعة البخار وقد قطعت البيد والقفار باسرع من لمح البصر حتى انه من فرط سرعتها وشدة اهتزازها لم يستطع الركاب اثناء الطريق ان يفوهوا ببنت شفة وبعد الظهر اقتربت من نهر بلات المتجمد الذي لا يبعد عنه محطة اوماحا سوى عشرين ميلاً

وكان السائق قد علم بقرب الوصول الى اوماحا ولكنه كتم ذلك عن الركاب قصد ان يباغتهم السرور

وما حلت الساعة الواحدة بعد الظهر حتى طوى السائق القلوع واوقف مسير المركبة وهرول الى الركاب فقال لهم — بشراكم بشراكم قد بلغتم المراد ووصلتم الى محطة اوماحا وها القطار على اهبة المسير فاسرعوا بالنزول

فصح الجميع باصوات السرور ونقد المستر فوج السائق اجرته والجائزة التي وعده بها وانطلقوا جميعًا الى القطار وما

ركبوه حتى قام وطار يطوي السهول ويعد المستر فوج ورفقاءه بلوغ المأمول كأنه عالم بالضرورة القاضية على المستر فوج بسرعة الوصول الى نيويورك

اما القطار فوصل في الساعة الرابعة من مساء اليوم التالي اي عاشر دسمبر الى محطة «شيكاكو» التي تبعد عن نيويورك مسافة تسعمائة ميل وقد قام بعد برهة من هذه المحطة فسار نحو نيويورك ووصل اليها في حادي عشر الشهر المذكور بعد الساعة الحادية عشرة وربع من المساء اي بعد قيام الباخرة شاينا الى ليفربول بخمس واربعين دقيقة

الفصل الثاني والثلثون

مثل الغريق نجا ورأى ساحلاً فاذا الاسود روابضٌ بجواره

في كل يوم حادث جديد يلقي في سبيل المستر فوج عقبات التأخير كأن الايام أبت الا ان تضرب عليه نطاقاً من الموانع كثيفاً او كأنها آلت على نفسها ان تجعل له اليأس حليفاً فهو لا يداوي جرحاً حتى تسيل جروح ولا يذلل مصاعب حتى تدهمه اخرى كانه هو وحده في الارض عدو للزمان

ولم تبق فيه سفر الباخرة شاينا ولم يدر فقد ذهب ببقية امله وقطع رجاءه من نجاح رحلته بعد ان كابد من اجلها المشاق والاتعاب ولما بلغ هذه الدرجة من سوء الطالع عول على مكافحة نحسه بثبات لعله يظفر به فواعجباه ممن يضيقون ذرعاً ويهرع صبرهم عند وقوعهم في احدى النكبات ولا يستطيعون التخلص منها كانهم لا يجدون لهم مخرجاً منها وهو داب الجبناء الاغبياء

واخذ المستر فوج يخطر على رصيف المينا ويسأل كل من وجده عن ميعاد سفر البواخر الى ليفربول رأساً في تلك الليلة فلم يأته احد بالنبإ الشافي لغليل فؤاده، فانه لم يكن في المرفإ بواخر برسم السفر رأساً الى ليفربول وانما كان فيه سفينة فرنسوية من شركة الترانساتلانتيك على عزم ان تسافر في ١٤ دسمبر الى مياه الهافر لا رأساً الى ليفربول ولوندرة وكان غيرها ايضاً سفن اخرى من شركات متعددة عازمة ان تسافر ايضاً في الميعاد

ذاته الى الماهر

وبعد ان سبر المستر فوج غور جميع البواخر العازمة على السفر ولم يجد بينها واحدة مسافرة على الفور قال في نفسه

شرُّ الصباح ولا خير المساء

دع المقادير تجري في اعنتها
ولا تبيتنَّ الا خاليَ البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها
يغيّر الله من حال الى حال

وقد اكترى مركبة احتملته بمن معه الى فندق الاديس نفولا . حيثما عدت لهم فيه المبايت فنام المستر فوج تلك الليلة ملء جفنيه شأن من ليس لديه شاغل يشغل افكاره فيقدح لاجله زناد فكرته اما السيدة عائدة والشاب باسبارتو فقد صرفا الليلة بتمامها يتقلبان على جمر الارق خافقي القلبين خامدي النفسين آسفين على اخفاق رحلة المستر فوج

واليوم التالي كان يوم ١٢ دسمبر فمن الساعة السابعة من صباحه حتى الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ من مساء اليوم الثاني والعشرين بقي للمستر فوج تسعة ايام وثلاث عشرة ساعة و٤٥ دقيقة من ايام رحلته المعينة فلو سافر على الباخرة شانيا لكان وصل الى لوندرة في الوقت المطلوب

وعند الصباح نهض المستر فوج من رقاده واستدعى اليه باسبارتو فاخبره بخروجه واوصاه بملاحظة الفتاة وايقاظها من النوم وخرج من الفندق سائرًا حتى وصل الى شاطئ هيدسون فرأى السفن والبواخر راسية في مياه هذا النهر بالقرب من الرصيف وبينها باخرة تجارية يتصاعد الدخان من مدخنتها اشارةً الى قرب سفرها فتوجه اليها المستر فوج بسرعةٍ لم يطلق بها احد من قبله وما وصل اليها حتى اهتدى الى ربانها وكان رجلاً قد ناهز الخمسين من سنيه واسمه القبودان اندراوس سبيدي دي كارديف واسم باخرته هانريته . فسأله المستر فوج بقوله

— الى اين انت مسافر بالباخرة

— الى بوردو

— كم ميل تقطع هذه الباخرة في الساعة

— من ١١ الى ١٢ ميلاً

— اتريد ان تؤجرني اياها الى ليفربول

— ليس ذلك بامكاني لاني مسافر الى بوردو

— ولو مهما دفعت لك من الاجرة

— نعم

— اذا لم تردان تؤجرها فاني اشتريها منك

— كيف ابيعها وهي باب رزقي

فحار المستر فوج في امره ولم ينفعه الاسراف في هذه المرة ولا الدرهم الوضاح كا نفعه في كون كون فاكترى به السفينة تانكادير

ثم قدح زناد فكرته في ايجاد الطريقة التي تمكنه من استئجار الباخرة من ربانها فخطر بباله ان يطلب من الربان ان ينقله مع رفقائه الى بوردو فطلب ذلك من الربان فاجابه بقوله

— ان باخرتي لا تحمل ركاباً ولو تدفع الراكب مائتي ريال

فقال فوج

— اني ادفع لك الفي ريال عن كل راكب اي عبارة عن ١٠٠٠٠ فرنك

فقال الربان

— وكم يبلغ عددكم

— أربعة أشخاص

فلما سمع الربان لفظة الفي ريال عن كل راكب هاج فيه عامل الطمع فأمرّ يده على جبينه شأن المتروي في الامر ولما تبين جسامة الاكتساب بدون ان يلحق سفره تغيير ما التفت الى المستر فوج وقال له

— استعد للسفر في الساعة التاسعة

وكانت الساعة اذ ذاك ٨½ فنزل المستر فوج الى البر وسار في مركبته الى فندق «القديس نقولا» فاحضر عليها الفتاة عائدة والشاب باسارتو واللصاص فيكس الذي مات رفيقاً لهم غير مفارق فوصلوا الى الباخرة في ميعاد سفرها

وعندما علم باسارتو بالاجرة التي نقدها مولاه عن كل راكب صعد زفير التحسر والتأسف على المبالغ التي بذلت بسببه ولكن فيكس كان يتميز غيظاً من اسراف المستر فوج وتبذيره حرصاً على مصلحة بنك انكلترة لان مصاريف فوج بلغت الى الان فوق سبعة الالاف ليرة استرلينية

الفصل الثالث والثلثون

وقد سافرت بالآفاق حتى
رضيتُ من الغنيمة بالاياب

وبعد مرور ساعةٍ من الزمان مرت الباخرة بالسفينة البخارية الراسية في مدخل البوغاز لارشاد البواخر والسفن الشراعية الى طريق المرور فيه وتحولت نحو نقطة • ساندي هوك . الى ان اعتلت ظهر اليم فاتجهت نحو الشرق بعد ان اجتازت طول الجزيرة التي تقذف المواد النارية من براكينها وظلت سائرةً في عرض البحر تشق العباب وتخترق الامواج حتى اقبل ظهر الغد الواقع في ١٣ دسمبر فصعد الى سطحها رجل واستلم قيادتها فحول سيرها الى نقطةٍ يقصدها من سفره

وما ادراك من هو ذاك الرجل — هو المستر فيلاس فوج الذي يبتغي السفر الى ليفربول على ظهر الباخرة فابريته وما مكنه رئيسها من مقصده فاستعمل الخديعة والدسيسة في مدة الثلاثين ساعة التي مضت على وجوده عليها حتى استمال اليه خواطر ملاحيها بالملاينة وبذل الدينار فبذلوا طاعة ربانهم ظهريًا وغدوا لاوامره مطيعين طوع البنان فلما تبين الرئيس منهم التمرد والعصيان تميز غيظًا وتركهم وشأنهم خوفًا من شرهم وانزوى في حجرته كئيبًا حزينًا فعند ذلك صعد المستر فوج الى ممشى الباخرة يسوقها الى ليفربول بالسرعة المطلوبة

وسارت الباخرة لازمة حد الاعتدال في سرعتها القانونية تقطع في الساعة من ١١ الى ١٢ ميلاً واذا لبثت الريح خادمة لها ولم يحدث في البحر انواء ولم تثر زوابع ورياح ولم يطرأ على الاتها تعطيل تصل بحول الله الى ليفربول في ٢١ دسمبر

ووقف باسارتو على خديعة مولاه فغبطه على افلاح مسعاه وانطلق سعيدًا فرحًا يمشي على سطح السفينة مرحًا ويخطر بين نوتيتها مفعم القلب هناء وسرورًا فتحولت اليه انظارهم واباحوا له ان يتكلم معهم حتى امتزج بهم لمتزاج الارواح بالابدان وكان يقضي معظم الاوقات معهم بالضحك والمزاح فيقص عليهم النوادر الهزلية والقصص المضحكة مظهرًا لهم ما لديه من العلم وما فيه من الذكاء بالفصح

لسان واعذب بيان وكان في بعض الاحيان يدير عليهم كؤوس المدام ويدعوهم بارق الالفاظ حتى استمالهم اليه بما فطر عليه من حسن الاخلاق وطلاقة الوجه ولين العريكة وقد كان الملاحون يبذلون ما في وسعهم في سبيل تسيير الباخرة بنشر القلوع وشد الحبال ابتغاء لمرضاة باسبارتو الذي تملك حبه قلوبهم اما فيكس فكان جاهلاً للامر لا يدري لقيادة فوج للباخرة سبباً ولا يعرف لا نقياد الملاحين لاوامره سرًّا والذي خيل له والحالة هذه هو ان المستر فوج كما تمكن من سرقة ٥٥ الف ليرة من بنك انكلترة تمكن الآن من سرقة الباخرة فاخذ يقودها الى حيث يشاء ويريد فلما خطر بالهِ هذا الفكر عض اصابع الندم على ركوبه فيها ولكن ماذا ينفع الندم وقد زلت القدم

ومرت الباخرة في ثالث عشر دسمبر بذيل كثيب من الرمال واقع في نقطة غير جيدة من البحر المحاط بالارض الجديدة يكثر فيها هياج الامواج وتكاثف الضباب خصوصاً في فصل الشتاء وقد سبق المستر فوج فعلم في الليلة الماضية من ميزان الهواء انهُ سيحدث تغيير في الجو وتبديلاً في الرياح التي ما لبثت ان هبت بين الشرق والجنوب وبناء عليهِ اشار الى النوتية بطي القلوع لئلا تلعب بها الرياح فتقود السفينة الى حيث تشاء

وعندما هبت الرياح وثارت الامواج باشد هياج في ذلك البحر العجاج وقع باسبارتو صريعاً يقاسي الم البحر والخوف من فقد الحبوة وتأخر الباخرة عن الوصول في اليوم المعين فيخفق مسعى مولاه ولا عجب اذا كان مكتئباً حزيناً مضطرب البال منقبض الصدر منفعل النفس يروم للباخرة خروجاً من موقعها الحرج

وفي الواقع ان الباخرة كانت في خطر شديد من الغرق لان الرياح شددت عليها الوطأة والامواج ثارت عليها بشدة فكانت ترفعها وتخفضها وتندفع على سطحها وتقلبها تارةً يميناً وطوراً شمالاً وقد ابدى المستر فوج شجاعةً كلية فائقة اذ لم يكبُ له جواد جهدٍ ولم يخفق له قلب ولم يضطرب له بال بل كان

واقفاً يلقي الاوامر الى مهندسي الآلة والايعازات الى ملاحي السفينة بدون ان يعباء بالخطر الذي يتوعده والشدة التي كان فيها وبدون ان يطلب من السماء تفريج الكربة الدهماء

واستمرت الحالة على ما تقدم الى ان اقبل اليوم السادس عشر من شهر دسمبر وكان هذا اليوم هو اليوم الخامس والسبعون من مبارحة المستر فوج لمدينة لوندرة ففي غضونه صعد مهندس الباخرة الى ظهرها وتقابل مع المستر فوج ودار بينهما الحديث وطال فما وعى منه باسبارتو غير الكلام الآتي

فوج . هل تاكد لديك ان الباخرة تقدمت كثيراً في سيرها

المهندس . اني على يقين مما قلت لاننا اوقدنا النار في جميع خلاقينها ولذلك فالفحم اوشك ان ينتهي لانه لم يكن في سابق علمنا ان الباخرة ستقلع الى ليفربول ومن ثمَّ لم ندخر لها المؤنة الكافية لاقلاعها الى بوردو فقط

فوج . ساتدبر الامر

ولما عرف باسبارتو ان مؤنة السفينة من الفحم على وشك النفاد ضرب اخماساً لاسداس وانصرف عنه الالم الذي كان معترياً اياه ثم اخذ يفكر في الفحم والسفينة حتى تقابل مع فيكس فاطلعه على الامر فقال له فيكس

— اتظن ان المستر فوج يسير الباخرة الى ليفربول

فاجابه باسبارتو

— لا محالة

هز فيكس كتفيه وطوى عنه كشحاً بعد ان قال له

— يالك من ابله مغرور

(عودٌ الى فوج) اما المستر فوج فكان واقفاً على سطح الباخرة يفكر في الوصول الى طريقة تضمن للسفينة اطراد السير وبعد استغراق بضع ساعات في التأمل استدعى بالمهندس الذي حالما امتثل بين يديه تلقى منه التعليمات اللازمة وعاد الى مكان الآلة فاشعل الفحم في جميع خلاقينها فصعد من المدخنة دخان كثيف حجب وجه السماء عن الابصار وبعد مضي يومين سارت بها السفينة بسرعة لا توصف نفد منها الفحم فاقبل المهندس على المستر

فوج يقول له قد نفد الفحم من العمل فاجابه . ضع ثقلاً على لولب الآلة ولا تخفف النار بل انتظر امامها حتى يأتيك ما توقده قال هذا واستدعى في الحال بخادمه باسارتو واشار اليه باحضار الربان سيدي فذهب الى حجرة الربان لاستدعائه رغماً عن ارادته لانه لم يكن يجهل غيظه وحنقه على مولاه وفي الواقع ان الربان كان مستشيطاً غيظاً فخرج من حجرته لمقابلة المستر فوج كثمر خارج من مرنصه اوكصاعقة قريبة الانفجار

ثم خاطب المستر فوج عن بعدٍ بحدةٍ ومقت وقال له ·

— اين نحن

فاجابه فوج

— نحن في نقطةٍ تبعد عن ليفربول مسافة مائة وسبعين ميلاً

الربان . وماذا تريد مني اذا كان لك دراية تامة في فن البحر ولماذا استدعيتني اليك

فوج . اريد منك ان تبيعني هذه الباخرة لاحرقها لان الفحم فرغ منها

الربان . يا المحنون استحلفك بملائكة السماء وبالساعة الجحيم ان لا تكلمني في مثل هذا الشأن فكيف اسمح لك باحراق باخرتي وهي باب رزقي وقد كلفتني من النفقات خمسين الف ريال

فوج . مد يدك فها ٦٠ الف ريال (٣٠٠٠٠٠ فرنك) ثمنها وما عدا ذلك فاني عندما اصل الى ليفربول املك الآلة البخارية وحديد السفينة وسائر ما يبقى منها من الحريق ولا تحسبن من اسرافي فللضرورة احكام لا بد من الرضوخ اليها والحالة تضطرني ان اكون في ٢١ دسمبر عند الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ ليلاً في لوندره وانا اخطأت هذا الميعاد اخسر مبلغ عشرين الف ليره

فتناول الامركاني السفاتج بيده وخمدت في قلبه نار الغضب المستعرة وانبسط محياه وابتسم ثغره وطفق يحسب قيم السفاتج وبعد ذلك دسها في جيبه ولا تسل عن الصاص فيكس فانه عندما رأى الامركاني يعد قدراً عظيماً من السفاتج اصبح كمن اصابته حمة وتأجج فؤاده بنار الغضب والسخط على فوج الذي كان يبذل الدينار من غير حساب

وبعد ان قبض الربان سيدي ثمن باخرته صار المستر فوج حرًّا بان يتصرف فيها كيف شاء وساء عليه امر تكسير اخشاب الغرف وسطح السفينة وتقديمها للنار فابتلعها اللهيب عاجلاً وفي تاسع عشر دسمبر قدموا للنار الصواري وخشب المعابر وقوارب السفينة وكان الملاحون يوقدون الاخشاب باجتهاد وباسارتو يكسر القطع الكبيرة الضخمة وفي العشرين من شهر دسمبر نفدت اخشاب السفينة وما بقي فيها سوى الصاج والحديد والآلة الا انها كانت قد اشرفت على مدينة كينستاون من اعمال ارلنده فساقها المستر فوج نحو المرفاء فدخلته سالمةً فخرج منها مع رفقائه الى البر وقد ودع الربان سيدي وتقد النوتية والوقادين والمهندسين الجوائز التي وعدهم بها

وما نزل المستر فوج الى الارض مع رفقائه حتى اخذ فيكس يتدبر الحيلة في القبض عليهِ ولكنهُ استقبح ذلك بالنظر الى ما عامله بهِ فوج من المعروف والاحسان ثم ساروا جميعًا فركبوا القطار من كينستاون في الساعة الواحدة ونصف من الصباح فسار بهم الى دوبلين ومنها ركبوا باخرة صغيرة فوصلوا الى ليفربول في ٢١ دسمبر عند الظهر

وما وطئوا ارض ليفربول حتى تقدم فيكس الى المستر فوج ووضع يده على كتفه وقبض في يده الاخرى على الامر الذي تلقاه من لوندره بتوقيفه وقال لهُ

— انت المستر فوج شخصك

— نعم

— اني القي القبض عليك باسم جلالة الملكة

الفصل الرابع والثلاثون

ومازلت اقطع عرض البلا
دِ من المشرقين الى المغربينِ
واذرعُ الخوف تحت الدجى
واستصحب السر والفرقدين
واطوي وانشر ثوب الهمو
م الى ان رجعت بخفي حنينِ

ولما قبض على المستر فوج ادخل الى احدى غرف سراي الجمرك في ليفربول على عزم ابقائه فيها مسجونًا الى ان يرد

الاوامر بنقله الى لوندره وعندما كان اللصاص فيكس يلقي القبض عليه قام باسارتو على الفتك به فردعه الشرط بالتهديد والوعيد اما السيدة عائدة فكانت واقفة موقف المذهل الحائر ولما اطلعها باسارتو على كنه الحالة تمزق فوادها اسفاً على منقذها المستر فوج ولما رأت نفسها عاجزة عن انقاذه جعلت دأبها النوح والبكاء

وكان باسارتو يلوم نفسهُ اشد اللوم لكتمانه عن مولاه امر فيكس فكان يقول في نفسه لو انذرت مولاي بالامر وبحت لهُ بالسر لما عدم وسيلةً من اقناع اللصاص ببرأته وعلو مكانته وترفعه عن التهمة التي يوجهها عليه ولكن ماذا ينفع الندم وقد سبق السيف العذل

وجلس باسارتو مع السيدة عائدة على مقعدٍ تحت رواقٍ مستهدفٍ للريح البادرة والبرد القارس

وكان وصول فوج الى مدينة ليفربول في الساعة الحادية عشرة والدقيقة ٤٠ من يوم ٢١ دسمبر اي قبل انتهاء مدة رحلته بتسع ساعات و٤٥ دقيقة يصرف منها ست ساعات في الذهاب من ليفربول الى لوندره ويستريح في داره الكائنة في شارع سافيل الى حلول الوقت الذي عينه لوجوده في الفلوب وبعد ان اصبح على يقين من نجاح رحلته العجيبة التي شهد فيها الاهوال ولقي المصاعب وذلل العقبات امسى في حالة اليأس لان فشله يجلب عليه العار والشنار وخراب الدار فانهُ يفقد قيمة الرهان ويصير مضغة في فم الزمان ويذوق طعم الذل والهوان ويقاسي الم الفقر المدقع وبعد ان دخل الى سجنه جلس على متكاء فيه ووضع ساعته على مائدة امامه ينظر الى حركة عقربها بدون ان يفوه ببنت شفة او تبدو على وجهه علائم القلق والاضطراب والغم والاكتئاب وبعد ان اغلق عليه باب سجنه انقبض منهُ الصدر وتأجج في فؤاده سعير الغضب فكان ينهض من مكانه ويمشي في الحجرة طلبًا لمخرج يهون لهُ سبيل الفرار فيلقى على النافذ قضبانًا حديدية تحظر عليه الخروج ويلقى الباب متينًا لا يستطيع كسره فيعود ويجلس في مكانه ويخرج من جيبه دفتر رحلته

ويقرأ السطور الاتية
(٢١ دسمبر) . (السبت) (ليفربول)
(٨٠ يومًا) . (الساعة ١١) (والدقيقة
٤٠ صباحًا)

ثم اعلن جرس ساعة الكرك ان الوقت بلغ الساعة الاولى من بعد ظهر النهار فنظر المستر فوج الى ساعتهِ فوجد فيها تأخيرًا بلغ زهاء الدقيقتين فافترض حينئذٍ انه اذا ركب الاكسبريس القائم في الساعة الثانية يصل الى لوندره ويلج غرفة القلوب قبل الساعة الثامنة

وبعد الساعة الثانية والدقيقة ٣٣ سمع ضوضاء ثم صرير ابواب تفتح ثم صوت باسارتو ثم صراح فيكس فنظر الى باب السجن فرآه مفتوحًا والسيدة عائدة داخلة منه ركضًا فاقتربت منه وقبضت على يديه ووراءها باسارتو فتوجه معها فوج الى الباب فرأى القصاص فيكس مرخي شعور الرأس غائبًا عن الحواس فلما رأى فوج الطريق في الارض محلاً منه وقال له بصوت متلجلج

عفوًا عفوًا يامولاي .. فيك تشابه كلي . وقد قبض على اللص منذ ثلاثة ايام وانت مُطلق السبيل

فحملق فوج في وجهه واندفع نحوه فلطمه لطمة كادت تكون القاضية فقال له باسارتو

— عافاك الله ياسيدي وحيّاك لا شلت يداك ولا اشمت بك اعداك اوسع هذا اللئيم ضربًا فالحقيقة يامولاي

اذا انتَ اكرمت الكريم ملكتهُ
وان انت اكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندى في موضع السيف بالعدى
مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى

وبعد ذلك انطلق فوج بالسيدة عائدة والتابع باسارتو الى محطة ليفربول فاستفهم عن ميعاد قيام الاكسبريس فقيل له انهُ قام منذ ٣٥ دقيقة فطلب من وكيل المحطة قطارًا مخصوصًا فاعد له قطارًا بعد الساعة الثالثة (بعد ان خلت السكة من القطارات الاعتيادية) فركبه مع رفيقيه (بعد ان انفرد بالمهندس ووعده بجائزة نقدية اذا طار بالقطار الى لوندرة) وسار بهم وفي ظرف خمس ساعات ونصف ساعة اوصلهم الى لوندرة

ولما خرج رحل الرحلة من العربة مع

السيدة عائدة وخادمه ووطئوا محطة لوندرة دقت الساعة ثماني دقات والدقيقة ٥٠ في انحاء لوندرة فكان تأخره عن الزمان الذي حدده في صك الرهان خمس دقائق فيكون اذن قد خسر الرهان

الفصل الخامس والثلثون

كيف ان باسارتو نفذ اوامر مولاه عاجلاً

لو علم سكان شارع سافيل باباب المستر فوج لاخذهم العجب وكيف يعلمون بذلك وما رأوا فوج وما تبينوا في منزله تغييراً من حيث فتح الشبابيك والابواب

وعندما بارح المستر فوج محطة لوندرة اتجه نحو منزله بالسيدة عائدة وامر باسارتو بان يذهب الى السوق لابتياع بعض الحوائج واي يراع يمكنه ان يأتي بوصف حالة فوج عند عودته الى منزلهِ فوان يكن لم تبدُ على وجههِ علائم القلق والاضطراب والغم والاكتئاب ولكنه كان عائداً لا شك بخفي حنين لاخفاق مسعاه بعد ان جاب الآفاق وذلل المصاعب واقتحم الاهوال واصطنع اثناء طريقهِ المبرات وبعد ان كان على وشك الوصول الى المرام فعاقه عن كل ذلك من احسن اليه وهو ذاك البصاص الذي قبض عليه بصفة لص مجرم

ومن يعلم ان المستر فوج اصبح فقيراً ولا يتأسف عليهِ لان المبالغ التي احتملها معه في رحلته وكان قد انفقها لم يبقَ منها سوى النزر اليسير ومبلغ العشرين الف ليرة الموضوع في بنك بارين اخوان قد فقده الان وامسى ملكاً لرفاقه الذي عقد معهم صك الرهان على الطواف حول الارض في ثمانين يوماً

وقد تخصصت حجرة للسيدة عائدة في بيت سافيل فدخلتها حزينة وانزوت فيها مكتئبة قلقة البال على حالة المستر فوج الذي ربما جرّه القنوط كما جرّ غيره من ابناء جلدته الى ما لا تحمد عاقبته واما باسارتو فحالاً صعد الى غرفته اطفأ نور الغاز الذي كان قد تركه موقداً بعد ليلة الرحلة وقد وجد في صندوق الخطابات المعلق في حائط بيت سافيل بيان لثمن الغاز الموقود محرر من قبل شركة الغاز في لوندره

ومرّ الليل عليهم جميعاً وهم على ارقٍ

وسهاد وعند الصباح قرع المستر فوج جرس الاستدعاء لخادمه باسارتو وأمره باعداد الطعام للسيدة عائدة وان يعد لهُ كاساً من الشاي وقطعة من اللحم وقضى النهار بتمامه وهو يشتغل بترتيب بعض اشغالهْ وعند المساء طلب من السيدة عائدة أن يتفاوض معها بعض دقائق وكان طلبه لها بواسطة باسبارتو

وقضى باسارتو النهار بطوله مستسلماً للهم منقاداً للحزن شأن من عرف خطاءه فاقرّ بذنبه ثم عض اصابع الندم على عدم اخطار مولاه بمكنونات ضمير التصاص فيكس وما كان ينويه لهُ من الاذى والغدر بالقبض عليهِ متى سمحت لهُ الفرصة ومن عظم ما كان يبكته به ضميره هام في اودية التأمل ثم نهض وذهب الى حجرة مولاه وانطرح على قدميه قائلاً لهُ بصوتٍ متهدج

— مولاي مولاي انا السبب في غمك وكربتك وبلواك وحزنك وو٠ فاستوقفهُ المستر فوج عن الحدوث واجابه بملء الرصانة

— لا لوم عليك ولا تثريب فاذهب وانظر الى واجباتك

فخرج وانطلق الى حجرة السيدة عائدة فالفاها على حالةٍ من القلق والكمد لا توصف فقال لها

— مولاتي ادهي غير مأمورةٍ عند مولاي وانقذيه من عذاب الضجر واليأس تجلي لهُ في مظهر الجمال فانتِ نجمة الانظار وفتنة الافكار وانتِ لا تعدمين وسيلةً في تسلية خاطره وتفريج كربته

فاجابته عائدة بقولها

— وكيف اظهر لهُ بهيئة الغم والكمد العلة مرتاب في صدق ولائي وفرط ثنائي على ما عاملني بهِ من المعروف والاحسان واني ارى من الصواب ان الت متربصةً الى المساء فانهُ سيجتمع بي حسب قولك للمفاوضة معي

وكان يلوح في ذلك اليوم على بيت سافيل علائم الاستيحاش ومذ ان سكنه المستر فوج لم يلبث فيهِ محجوباً عن اعين الناس النهار بطوله الا في ذلك اليوم ويا عجباه فالى اين يذهب ٠ أالى الغلوب ان رفقاءهُ ليسوا بانتظاره لانهُ لم يحضر اليهم في الليلة المعينة حسب وعده

ام الى بنك بارين احوان فان العشرين الف ليرة المطلوبة له منهم قد فقدها بفقد الرهان فالاجدر بهِ والحالة هذه ان يلبث في منزله منتظرًا فرج الله العاجل

وكان باسارتو اثناء ذلك النهار يصعد السلم وينزلها مرة بعد اخرى ثم يذهب الى غرفة مولاه فيجدها مغلقة فيعود الى حجرته ثم يخرج منها ذاهبًا الى غرفة مولاه ايضًا فينظر الى ما داخلها من ثقب قفل الباب ليرى مولاه كأنهُ تصور ان تلك الحالة ربما افضت بالمستر فوج الى القنوط من الحيوة وقد خطر لهُ ايضًا ان ينتقم من الفصاص فيكس غير انهُ بعد التروي والامعان علم ان فيكس لم يجنِ عليهِ ذنبًا فانهُ قام بواجب وظيفته ولو انهُ اخطأ المرمى

وبعد الساعة السابعة ونصف من المساء استأذن فيلاس فوج الدخول الى غرفة السيدة عائدة فدخل حجرتهـا وجلس على كرسيٍ بالقرب منها وبعد سكوتٍ استمر مدة خمس دقائق قال لها

— ارعني السمع يا مولاتي قد اتيت بكِ هذه الديار الانكليزية على امل ان تعيشي بها ناعمة البال بما اضعهُ بين يديكِ من المال اما الان وقد اصبحت فقيرًا فاسمحي لي ان القي اليكِ ما بقي عندي من النقود الى ان يمن الله عليكِ بالفرج وقد بلغتِ الان دارًا تأمنين فيها شر اولئك الهنود الذين كانوا عازمين ان يميتوكِ شر ميتة

فاجابتهُ عائدة بقولها

— صدقت يا مولاي فاني لا أنكر لك فضلاً ولا آكفر باحسانك

فلاشكرنك ما حييت وان امت
فلتشكرنك اعظمي تحت الثرى

ولكن يا مولاي قل لي ناشدتك الله ما سيؤول اليه امرك

— ساعيش بسرورٍ وهناء وسعادةٍ وصفاء

— اين اصدقاؤك واقرباؤك يفرجون كربتك

— ليس لي احد غير الله

— اني وخالق الحب والنوى وفالق الحب والنوى ان الموت لاهون عليَّ من الحيوة مبتعدةً عنك ولا يطيب لي العيش في بعدك فهلاً تجود عليَّ بامنية فؤادي

وتتخذني روجةً لك

فأثر هذا الكلام في فؤاد المستر فوج ثم نظر الى وجهها نظرة المحب وقال لها بتأدبٍ واحتشام

— اني احبك حبًا فائق الوصف

ثم استدعى اليه بخادمه باسبارتو وكانت الفتاة قد قبضت على يديه وضمتها الى صدرها فنظر اليها نظر الواله ثملاً بخمرة الوجد وبينما هما على هذه الحالة اذ دخل عليهما باسبارتو ولما رآهما في حالة السرور استنار وجهه كالشمس حينما تبرع من دائرة الانقلاب فقال له مولاه

— الم يفت الوقت على استدعاء الاب صاموئيل ويلسون من كنيسة السيدة

فتبسم باسبارتو وقال له

— لا لم يفت الوقت وما الساعة الان الا ٨ و٥ دقائق

فالاوفق ان تخطر القسيس مذ اليوم ليستعد للحضور باكرًا يوم الاثنين

فالتفت فوج الى الفتاة وقال لها

— موعد اللقاء يوما غدًا . فقالت له

— اصبت

ثم خرج باسبارتو ليخطر حضرة الاب صاموئيل

الفصل السادس والثلثون

كيف ان سوق فيلاس فوج استأنف رواجه في لوندرة

واختلفت الاقوال وتباينت الاراء في شأن جامس سترائد الذي أُلقي القبض عليه في سابع عشر دسمبر لارتكابه سرقة بنك انكلترة وقد ذاع خبر جنايته في جميع الولايات المتحدة وفيه الالسنة باسمهِ الملام وعنقة بامرِّ الكلام

وقد كان المستر فوج منذ ثلاثة ايام مأخوذًا بصفة لص مجرم يقتفي اثرهُ رجال الحكومة للقبض عليهِ واما الان فقد تمحص الحق وظهرت براءته وعلم انهُ كان يتم رحلته حول الارض بأكمل دقة وضبط احدث اقلام ارباب الجرائد تخوض في بيان الامر حتى شغلت سكان لوندرة فاخذ القوم يستأنفون عقد الرهان بحيث انحصرت الاشغال في مسألة الطواف حول الارض

اما رفقاؤه الخمسة اعضاء العلوب

فقد قضوا الثلثة الايام التي مرت من تاريخ القبض على لص السك جامس ستراند في قلق واضطراب وكانوا يتوقعون عود فيلاس فوج اليهم ساقد الصبر مسترسلين في الظنون والتخامين فيما اذا كان قد عدل عن عزمه ام مات في الطريق ام سيعود اليهم في الحادي والعشرين من دسمبر في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ من المساء

ولما لم يقعوا له على اثر بعثوا بالرسائل البرقية الي امركا وآسيا يستطلعون اخباره وكانوا يتفقدون صباحاً ومساء منزله في شارع ساويل لعله يكون قد آب اليه و يحثون على اللصاص فيكس الذي اخطأ المرمى فما وقعوا له على خبر

ولذلك نشت الايدي تعقد صكوك الرهان اعتقاداً ان المستر فوج فارس ذلك الميدان لا يصل الا في آخر دقيقة ولكن اوراقه انحصصت الى عشرين وعشرة وخمسة غير ان الشيخ الكسيح اللورد الرمال كان يشتري اوراق فوج بقيمتها الاصلية

وما اقبل مساء السبت حتى تقاطرت الناس نحو الغلوب ينتظرون اياب المستر فوج حتى ضاقت بهم فسحات الطرقات وانصب بينهم ميزان الجدال وخصوصاً السماسرة منهم وقد احتدم بينهم الجدال حتى علت الضوضاء تشق كبد الفضاء وقد خيف بسبب الازدحام من حدوث امور مخلة بالراحة العمومية فتداخلت الشرطة وحاولت منع الازدحام فلم تفلح . وكانت الجماهير الغفيرة تزداد تجمعاً حول الغلوب كلما اشتد تداني الوقت المعين واجتمع في تلك الليلة منذ الساعة السادسة في قاعة الغلوب حضرات المتراهنين يوحنا جلليفان وصاموئيل فالنتين واندراوس ستوار وجوتيه رالف (مدير السك المسروق) وتوما فلاناجان وعندما بهت ساعة الغلوب ان قد انقضت الساعة الثامنة والدقيقة ٢٥ قام اندراوس ستوار وقال

— سادتي لم يبقَ للمستر فوج الاَّ ٢ دقيقة

فسأل توما فلاناجان عن الوقت الذي وصل فيه آخر قطار قام من ليفربول فاجابه جوتيه رولف أن قد ورد قطار في الساعة السابعة والدقيقة ٢٣ وسيحضر قطار آخر عند منتصف الليل

فقال ستولر . لو حضر المستر فوج على قطار الساعة السابعة والدقيقة ٢٣ لكان وصل الينا فوالحالة هذه صار يمكننا الان ان نوقن باكتساب الرهن فاجابه فالنتين ان صاحبنا محب للضبط فربما يعد علينا في الثانية الاخيرة من الوقت المعين فقال ستولر اني لا اصدق ولو نظرته بعيني فقال فلاناجان في الواقع ان همة المستر فوج لا يقبلها عقل فهو وان كان محبًا للضبط فلا يمكنه ان يحسب تأخيرًا يومين او ثلاثة وهذا يكفي لاحباط مسعاه فقال سيللمان ان الطريق التي سار فيها مختلطة بالاسلاك البرقية ومع ذلك لم يرد الينا منه اقل نبأ فاجاب ستولر بصوتٍ عالٍ قائلاً سادتي ان المستر فوج قد خسر الرهن واعلموا ان اسمه غير مرقوم في كشف الركاب الذين حضروا الى ليفربول على الباخرة شانيا واظن (لا بل اؤكد لكم) انه اذا ساعده الطالع يكون الان قد حضر الى امركا وسيكون تأخيره لا اقل من عشرين يومًا فبناء عليه يكون قد ربحنا خمسة الاف جنيه التي راهنا عليها اللورد البرمال وذلك علاوة على العشرين الف جنيه فاجاب جوتيه رولف . لقد اصبت فيما قلت وما علينا سوى ان نقدم طرس الحوالة الكائن في يدنا للخواجات باربن اخوان ونقبض بمقتضاه العشرين الف جنيه

وما اتم كلامه حتى دقت الساعة ٨ والدقيقة ٤٠ فقال ستولر لم يبقَ للمستر فوج سوى خمس دقائق فتبادل حينئذٍ هولاء الاعضاء النظرات وكانت قلوبهم تخفق كأنها تنذرهم بخسارة الرهن . وقد عرض عليهم فالنتين ان يجلسوا اماه مائدة ويلعبوا الويست . فقال ستولر وهو آخذ في الجلوس اماه المائدة اني لا اتنازل من حصتي (٤٠٠٠ جنيه) عن بارة واحدة وحينئذٍ اشارت الساعة الى الساعة ٨ والدقيقة ٤٢ فتناولوا الورق ثم اخذوا يتبادلون النظرات من آنٍ الى آنٍ وعند الساعة الثامنة والدقيقة ٤٣ قطع فلاناجان الورق ودفعه الى رالف ولم يسد السكوت دقيقةً واحدة في قاعة الاجتماع حتى علت ضوضاء في الخارج وعند الساعة الثامنة والدقيقة ٤٤ صرخ فيلليمان باعلى صوته قائلاً لم يبقَ الا

دقيقة واحدة فامسك رفقاؤه عن اللعب وشخصوا الى عقرب الساعة . وعند الساعة الثامنة والدقيقة ٤٤ والثانية ٥٥ سمعوا اصوات ابتهاج مما خارج ، الغلوب ، وتصعيق استحسان فنهض اللاعبون للوقوف على الخبر وما دنت الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ حتى فتح باب القاعة ودخل منه فيلاس فوج قائلاً لهم بصوت هادٍ ها انا ذا

العصل السابع والثلاثون

كيف ان فيلاس فوج لم يكسب من الرهن سوى الشرف

مر بنا الكلام على وصول المستر فوج الى مدينة لوندرة وكيف انه استدعى بخادمه باسارتو (بعد ان صرف في منزله بشارع سافيل نحوًا من خمس وعشرين ساعة) وامره بالتوجه الى منزل الاب صاموئيل ويلسون ليحضر اليه في الغد ويكتب له عقد الزواج على السيدة عائدة . فذهب باسارتو الى منزل الاب المذكور قرير العين مسرورًا وبعد ان انتظره في منزله نحوًا من عشرين دقيقة تفاوض معه قليلا ثم خرج من لدنه فرحًا مكشوف الرأس وسار في الطريق مسرعًا ينهب الارض ركضًا حتى انه عاد في برهة ثلاث دقائق الى مولاه ضنكًا من التعب لا يستطيع كلامًا فسقط الى الارض امامه فقال له فوج

— ماذا ألمَّ بك

فاجابه متلجلجًا بقوله

— مولاي. الزفاف غير ممكن..

— ولماذا

— لان يوم الغد هو يوم الاحد لا الاثنين فقم . فقم . واسرع .

— الاحد . . اصدقني وافهم ما تقول

— أجل الاحد . . يا مولاي . انت على غلطٍ في يوم واحد فانا وصلنا الى هنا قبل الميعاد المعين باربع وعشرين ساعة وناشدتك الله بان تقوم وتذهب الى الغلوب اذ ليس لديك من وقتٍ للجدال والاستفهام فاذهب غير مأمور الى قاعة الغلوب فانهُ لم يبقَ لك سوى عشر دقائق

فنهض فيلاس لساعته وخرج من منزله فاستدعى باحد ساقة العربات

ووعده بجائزة قدرها ١٠٠ ليرة اذا اوصله الى الغلوب في مدى عشر دقائق فاطلق السائق للخيول العنان فطارت بالعربة الى الغلوب واوصلت المستر فوج اليهِ في الاجل الذي ضربه للسائق والدقيقة التي يروم الوصول بها الى القاعة وبناء عليه كسب الرهن وهنا محل للعجب كيف ان هذا الرجل المحب للضبط المتروي في الامور يرتكب خطاء بحساب يوم واحد ولا يميز بين ايام الاسبوع بحيث لا يفرق بين الخميس والجمعة وبين السبت والاحد

على انا اذا نظرنا الى هذا الخطاء عرفنا الاسباب التي نشأ عنها وهي في حد نفسها بسيطة جداً

فمن المعلوم لدينا ان المستر فوج شرع في الطواف حول الارض من جهة الشرق سائراً امام الشمس ومن المعلوم ايضاً ان للكرة الارضية ثلثمائة وستين درجة فهي اختيار كل درجة ينقص من ساعات النهار اربع دقائق واذا ضربنا الثلثمائة والستين درجة في اربع دقائق كان الحاصل اربعاً وعشرين ساعة وهذه

صورة العمل

٤٦ درجة
٤ دقائق
———
١٤٤٠ الحاصل

فحاصل الدقائق ١٤٤٠ وهاك تحويلهم الى ساعات

دقائق		ساعات
١٤٤٠	٦٠	
١٢	٢٤	٢٤
٢٤		
٢٤		

فحاصل القسمة ٢٤ ساعة

اما المستر فوج في سيره نحو الشرق فقد رأى الشمس مرت ثمانين مرةً في دائرة النصف مع ان رفقاءهُ في لوندرة رأوها مرت في تلك المدة تسعاً وسبعين مرة فمن هنا نجح للمستر فوج ربح يوم واحد وهو اليوم الذي نحن في صدده وبعكس ذلك لو طاف حول الارض من الغرب لحصل لديه زيادة يوم واحد على الثمانين يوماً

وقد كسب المستر فوج بذلك قيمة

الرهن ولكنه كان قد تكبد من النفقات اثناء الطريق مبلغ تسعة عشر الف ليرة وبما انهُ كان يقصد بطوافهِ نيل الشرف لا اكتساب المال فقد وزع الالف ليرة الباقية على خادمه باسارتو والمنكود الحظ فيكس ومن اخلاقه الشاذة وطباعه الغريبة انهُ خصم من حصة باسارتو ثمن الغاز الذي بقي موقدًا في غرفته ايام الرحلة

وبعد ان عاد من النادي فائزًا بامنيته حاصلاً على بغيته باكتساب الرهن انفرد بالسيدة عائدة وقال لها

— هل انتِ مستمرة على عزمك من حيث الزواج

فاجابته عائدة

— مولاي كان الاجدر بي ان اوجه اليك هذا السؤال الذي وجهته اليَّ لانك عندما قلت ان تقترن بي كنت فقيرًا اما الان فقد صرت بحمد الله غنيًا

فقال لها فوج

— صدقتِ ايتهـا الحبيبة المفداة بالروح ولكن انتِ التي انقذتني من الفقر المدقع ساعة حدثتني بامر الزواج فارسلت خادمي الى الاب صاموئيل فعاد واراح الحجاب عن خطائي فلما سمعت عائدة هذا الكلام احدث تدعوه بالطف اسماء المحبين وهو يجيبها باعذب الفاظ العاشقين كيف لا وقد عزما ان يرتبطا برابطة الزواج بعد ثماني واربعين ساعة ويكون باسارتو شاهدًا عليها لانهُ هو الذي انقذ الفتاة من الحريق ومولاه من الفقر والاعوار

وفي غلس اليوم التالي نهض باسارتو من رقاده واتى حجرة المستر فوج فايقظهُ من نومه وقال لهُ

— مولاي قد اكتشفت الان على امرٍ مهم

— وما هو

— هو انهُ في امكاننا ان نطوف حول الارض في تسعة وسبعين يومًا فقط

— نعم يا بني ولكن اذا لم نقطع صحارى الهند ولو لم نقطعها لما كنا انقذنا السيدة عائدة من الهلاك ولما صارت زوجةً لي

قال هذا واغلق عليه باب حجرته بكل هدوءٍ وسكينة

وخلاصة القول ان المستر فيلاس فوج طاف حول الارض في ثمانين يومًا ولم يقف على وسيلةٍ الا استخدمها في تذليل

العوائق وتسهيل سبل الانتقال من مكانٍ الى مكان فقد ركب البخار على اجنحة البحار وقطع الفيافي والقفار على القطارات الحديدية والمركبات والعربات والافيال واظهر كل ما فطر عليه من غرائب الاخلاق وشدة التأني واحكام الدقة والضبط ومع ذلك فما الذي ربحه في رحلته وما هي الفائدة التي عادت عليه بعد تلك الاتعاب انه لم يكتسب شيئاً غير الشرف ولم يربح الاَّ فتاةً بديعة الجمال يسلو بوجودها ما كابده من المشاق وقاساه من العناء فقد ملكت قلبه وسحرت له

ملكتِ القلب فرفقاً بهِ
ما احسن الاحسان ممن ملك
استغفر الله فما انتِ من
هذا الملا ما انتِ الا ملك

وفي الواقع ان الارض لا تطاف في اقل من المدة التي قضاها المستر فيلاس فوج في ذلك الطواف

(تمــت)